سلسلة رسائل الدعوة السلفية



شرح
حديث ما ذئبان جائعان

تأليف

الإمام العلامة الحافظ ابن رجب الحنبلي البغدادي

٧٣٦هـ - ٧٩٥هـ



تحقيق وتعليق

أبو القاسم عبد العظيم

مزيدة ومنقحة

دار القبس للنشر والتوزيع

شرح

حديث ما ذئبان جائعان

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

صف وتصميم وإخراج

دار القبس

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

شارع الأمير سطام بن عبدالعزيز

ت: ٢٦٨١٠٤٥ ف: ٤٣٥١٣٩٥

darulqabas@yahoo.com

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الناشر

الحمدُ للَّه، والصلاةُ والسلامُ على رَسُولِ اللَّهِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ ومن اهتدى بهداه.

وبعد:.

فتتقدم مكتبة دار القبس بالرياض بكتاب «**شرح حديث ما ذئبان جائعان**»؛ للإمام العلَّامة الحافظ ابن رجب الحنبلي البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ، بتحقيق الأستاذ الداعية أبو القاسم عبدالعظيم، من الهند، إلى جميع المشتغلين بالعلم والدعوة، المقتبسين من أنوار النُّبُوة عُلَماءً ومدرسينَ وطلابًا، مَزْهُوَّة بما أَوْلَوهَا مِنْ ثقةٍ وتقديرٍ في مجالات الطبع والنشر

ولقد كشفت هذه الخطوات التي خَطَتْهَا المكتبة في سنواتها الأولى من انتقاء نشر التراث ورسائل الدعوة؛ أن بالجهد المتواصل مستنيرة بآراء كبار الدعاة وأهل العلم، تتخذ لها اتجاهًا مخلصًا صادقًا إلى النهضة بالتربية الدينية وتمكينها من تأدية رسالتها الحقة، فشاركت - بجهد المقل - في معالجة هذا الاتجاه الحميد بعرض روائع التراث الماثلة في التربية السليمة لتستكمل مقومات النجاح والسداد في ما بين شباب الأمة.



ولعل كتاب «**شرح حديث ما ذئبان جائعان**» وأمثاله من مؤلفات الإمام ابن رجب يُسَدِّدُ هذا الثغر، ويملأ ذلك الفراغ، ونلمس فيه رغبة القُرَّاء.

أذ نحن دار القبس للنشر والتوزيع نقدِّم هذا الكتاب ونأمل منه عظيم النفع، ونرجو أن يكون هذا الجهد خطوة في سبيل ما ننشد من إحياء المجد التليد، واللَّه الموفِّق، وهو من وراء القصد.

أخوكم

أبو حذيفة محمد سليمان محمد

دار القبس للنشر والتوزيع - الرياض

١٤٣٤ / ٢٠١٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

الحمدُ للَّه الذي بَعَثَ في الأُمِّيينَ رسولًا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين، والصلاةُ والسلامُ على ذلك المبعوث المرسل بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وعلى آله وعشيرته وصحابته الذين حملوا رأية العلم والدَّعوة والهداية، وأَدُّوا حَقَّهَا على أَتَمِّ الوجوه رغم أنف الكائدين، وأوضحوا سُبُلَ الهُدَى ونشروا دعوة التوحيد ونور الإيمان على صدود الصادِّين وشرود الشاردين.

❑ وبعـــد:

ففي مجلة الجامعة السلفية ـ بنارس ـ الهند، من شهر يناير إلى شهر أغسطس عام ١٩٨٦م؛ نُشِرَ بتحقيقنا تِبَاعًا كتاب:

«**شرح حديث ما ذئبان جائعان**»، للإمام العلَّامة الحافظ زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي (٧٣٦هـ ـ ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

والكتاب كما هو معروف أحد رسائل الدعوة السَّلَفِيَّة التي اهتم فيه المؤلف ببيان الحديث المشهور: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**» شَرْحًا وإيضاحًا



ينقل من خلاله كثيرًا من المسائل المتعلقة والمستنبطة من هذا الحديث، ويُدعِّمُه بأقوالٍ كثيرةٍ لسلف هذه الأمة؛ مُحَدِّثِينَ وأصحاب الزهد والتصوف.

إنَّ الحِرْصَ على المال والشرف من أكبر أسباب انهيار هذه الأمة، وهو حقًّا الدنيا وحبها اللتين حَذَّر منهما النبي ﷺ كثيرًا كثيرًا. فمن أخذها على حيطة منه، وجعلها لآخرته فهو السعيد، ومن أخذها على ملء بطنه ولم يجعلها لآخرته فهو الشقي المحروم.

قال رسول الهدى ومعلم الكتاب والحكمة ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ في بعض خُطَبه وهو يُزَكِّي أُمَّتَه: «**أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ هذه الدَّارَ دارُ الثواء، لَا دَارَ استواءٍ، ومَنْزِلُ تَرَحٍ لا مَنْزِلَ فَرَحٍ؛ فَمَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرَخَاءٍ، وَلَمْ يَحْزَنْ لِشَقَاءٍ. أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ ـ تَعَالَى ـ خَلَقَ الدُّنْيَا بَلْوَى، وَالْآخِرَةَ دَارَ عُقْبَى؛ فَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنْيَا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ سَبَبًا، وَثَوَابَ الْآخِرَةِ مِنْ بَلْوَى الدُّنْيَا عِوَضًا؛ فَيَأْخُذَ لِيُعْطِيَ، وَيَبْتَلِيَ لِيَجْزِيَ. إِنَّهَا لَسَرِيعَةُ الذَّهَابِ، وَشِيكَةُ الانْقِلَابِ، فَاحْذَرُوا حَلَاوَةَ رِضَاعِهَا لِمَرَارَةِ فِطَامِهَا، وَاحْذَرُوا لَذِيذَ عَاجِلِهَا لِكَرِيهِ آجِلِهَا، وَلَا تَسْعَوا فِي تَعْمِيرِ دَارٍ قَدْ قَضَى اللَّهُ خَرَابَهَا، وَلَا تَوَاصَلُوهَا فَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ مِنْكُمْ اجْتِنابها، فَتَكُونُوا لِسُخْطِهِ مُتَعَرِّضِينَ، وَلِعُقُوبَتِهِ مُسْتَحِقِّينَ**»(١).

---

(١) أيضًا ص (٤٢) وأيضًا (٤/ ٢٧٧) نقلًا عن الحلية لأبي نعيم.



وقال عثمان رضي الله عنه في آخر خُطْبةٍ خَطَبَهَا في حياتِه: «إن اللَّه أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها. إن الدنيا تفنى، وإن الآخرة تبقى، فلا تبطرنَّكُم الفانية، ولا تشغلنَّكم عن الباقية.

وآثروا ما يبقى على ما يفنى؛ فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى اللَّه»(١).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض خطبه: «إن أخوف ما أخاف عليكم اتِّباع الهوى وطول الأمل؛ فأمَّا اتِّباع الهوى فيصدُّ عن الحقِّ، وأمَّا طول الأمل فينسي الآخرة. أَلَا: وإن الدُّنيا قد تَرَحَّلَت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل»(٢).

وهكذا طال بنا مسير الدعوة والإنذار والتخويف والموعظة حتى وصل القرن الثامن الهجري، وأُلِّفَتْ خلال تلك القرون الماضية رسائل وكتب إلى جانب الخُطَب المنبرية ومجالس الدعوة والوعظ. ومن بين تلك الرسائل: المؤلفات الفريدة النوع التي جَرَّ بها قلم العلَّامة الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي الذي عُرِفَ برشاقةِ الأسلوبِ وأناقةِ

(١) خطب مختارة ص (٣١) إعداد ونشر رئاسة إدارات البحوث ـ الرياض ـ.
(٢) أيضًا ص (٤١) والدين الخالص للبوفالي (٤/ ٢٧٤) عن الطبري في التاريخ.



اللسانِ، وبإتيان المواد الحيوية الفعالة، ومنها هذا الكتاب المعروف بـ«**شرح حديث ما ذئبان جائعان**».

ولما أننا اليوم في أَمَسِّ حاجة إلى مثل تلك الرسائل من رسائل الدعوة السلفية؛ كان من نِيَّتي منذ نشرها في المجلة المذكورة طبعها مُستقِلًّا منها بمزيدٍ من التحقيق والتنقيح، مع أن هذا التحقيق المنشور قد عدَّته نشرة «**أخبار التراث الإسلامي**» الصادرة من لجنة المخطوطات والتراث بجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت في بعض أعدادها من أهم التحقيقات العلمية في المجلات، وهكذا أثنى عليه بعض ملفات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والمساجد بدولة قطر[١].

وها نحن نقدمها اليوم وقد صُحِّحَتْ ورُوجِعَتْ وزِيدَتْ ونُقِّحَتْ استكمالًا لتلك النِّيَّة، وقد قَدَّر اللَّه حظ ذلك لمكتبة دار القبس بالرياض تقول لقرائها: امكثوا إني آنست نارًا سآتيكم منها بخبرٍ أو آتيكم بشهابٍ قَبَسٍ ستجدون لكم هُدًى وسوف تصطلون.

فإذًا: لا يفوتني أن أتقدمَ بخالصِ شُكْرِي وتقديري للأخ الصديق الشيخ أبي حذيفة، ومكتبة دار القبس على اختيار هذا الكتاب للنشر ضمن مطبوعات رسائل الدعوة السلفيَّة لطلاب العلم؛ سَائِلًا المولى ﷻ

(١) قد اطَّلعت عليه أثناء زيارتي لدولة قطر، وقد أفادني بذلك الشيخ عبدالله الدباغ في مكتبه في آخر عام ١٩٨٦م.



أَنْ ينفعَ به مؤلفه ومحقِّقه وناشره وَقَارِئِيهِ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه على ما يشاء قدير، آمين.

وصَلَّى اللَّه على نبيِّنا ومولانا محمد وآله وسَلَّم.

أبو القاسم عبدالعظيم



شرح

حديث ما ذئبان جائعان

تأليف

الإمام العلامة الحافظ ابن رجب الحنبلي البغدادي

٧٣٦هـ - ٧٩٥هـ

تحقيق وتعليق

أبو القاسم عبد العظيم

دار القبس للنشر والتوزيع

كلمة التحقيق

في مكتبة «**المدرسة العالية العربية**» الغَنيَّة الفقيرة، العامرة الخالية، وقعت يدي على مجلد من كتاب «**قيام الليل**» للإمام أبي عبدالله محمد ابن نصر المروزي (٢٠٢ ـ ٢٩٤هـ)، الذي اختصره العلَّامة أحمد بن علي المقريزي (م٨٤٥هـ) صاحب كتاب «**الخطط والآثار**» في التأريخ. وكنت في حاجةٍ إليه في تخريج بعض الأحاديث الواردة في كتاب «**نَفَحَاتُ العبير السَّاري بأحاديثِ أبي أيوب الأنصاري**»[١] فإذا في آخره «**جزء لطيف في شرح حديث: ما ذئبان جائعان ـ الحديث**» للإمام العلَّامة زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولما كان هذا الحديث قد سبق بي في تخريج «**سنن الإمام الدارمي**»[٢] اشتغل خاطري بهذه الرسالة اللطيفة، فقرأتها من أولها إلى آخرها في مجلسٍ أو مجلسين، ولقدم طبعها وغلظ أوراقها لعبت بها أيدي الزمان، فَفَرَّقَتْ شَمْلها، وَقَطَّعَتْ عقد نظامها، حتى كانت فروعها بائنةً من أصولِهَا، فدفعني حُبي إلى التراث الإسلامي، ورغبتي في إحكام أعمال الأعلام إلى تصويرها وصيانتها عمَّا كان من

(١) لم يبق من تحقيقه إلا بعض الوريقات.

(٢) انتهيت من تخريجه على البطاقات.

الخراب، وفي نفس ذلك اليوم استعرت الكتاب وصَوَّرته، وانتقيت فوائده؛ فبينما أنا في مسألةٍ من مسائل العلم، إذ أردت مقارنة بعض السطور وعرضها ومقابلتها على كتاب «**جامع بيان العلم وفضله**» للإمام أبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي (م ٤٦٣هـ) فكان ما شاء اللَّه أن اطَّلعت على رسالة ابن رجب داخل هذا الكتاب على هوامش ص (١٦٧ - ١٨٣)، وما كان سبب هذا العمل وداعيته إلَّا هذا، فجعلت الأول أصلًا، ورمزت له بالألف (أ) والثاني تبعًا، ورمزت له أيضًا بالباء (ب) ثم بدأت بالمقابلة بينهما، وبتخريج الآيات، والأحاديث، والأبيات، والآثار حسب متطلبات التحقيق العلمي المعروف، مع التعليقات المفيدة من كتب أئمة هذا الشأن، مُبَوبًا ومُفَصَّلًا للتقريب والتسهيل.

أما مؤلِّف هذا الكتاب، فهو على ما جاء في هامش الصفحة الأولى من (أ):

ترجمة المؤلِّف[1]

فيما يلي ترجمة للحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ ننقلها من هامش نسخة (أ)، يقول: هو العلَّامة زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن

---

(١) هكذا ورد ترجمة المؤلف على هامش (أ) في بداية الرسالة، ننقلها حرفيًا، أما ترجمته مفصلًا فقد بسطناه في تحقيق «فضل علم السلف على علم الخلف» للمؤلِّف طبعة دار القبس للنشر والتوزيع بالرياض.

شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب من الحنابلة المحدِّثين.

قال في «الرَّوْضَةُ الغَنَّاء في تاريخ دمشق الفيحاء»: هو الإمام، الأصوليّ، المحدِّث، الفقيه، الواعظ، الشهير، كان إمامًا في العلوم، له مُصَنَّفات كثيرة منها: «شرح البخاري»، و«شرح الأربعين النووية»، و«طبقات الحنابلة»، و«القواعد»، و«رياض الأنس» وغيرها. مات بدمشق، ودفن بباب الصغير عند قبر معاوية ـ رضي الله عنه، انتهى.

وقال العلَّامة أبو الطيب محمد شمس الحق [العظيم آبادي] مَتَّعَنَا اللَّه بطول بقائه مذيِّلًا على «فوات الوفيات»(١): كان إمامًا بارعًا، عديم النظير في عصره، أَلَّفَ تاريخ العلماء الحنابلة، وهو معروف بـ«طبقات ابن رجب»، وله كتاب «كَشْفُ الكُرْبَةِ فِي وَصْفِ حَالِ أهلِ الغُرْبَةِ»، و«شرح كبير على الأربعين النووية» سماه «جَامِعُ العُلُومِ والحِكَمِ في شَرْحِ خَمْسِينَ حَدِيثًا مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ» وغير ذلك من المؤلَّفات النَّافعة. توفي ـ رحمه الله تَعَالَى ـ سنة خمس وتسعين وسبع مائة ـ انتهى.

---

(١) علم من هذا أن للشيخ العظيم آبادي (١٢٧٣هـ ـ ١٣٢٩هـ) ذيلًا على «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي، ولم يذكره أحد ممن ترجمه، وقد ذكرته في التنبيهات التي استدركتها على كتاب «حياة المحدِّث شمس الحق وأعماله»، للأخ محمد عزيز السلفيّ المحترم مَتَّعنا اللَّه بطول بقائه.



قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الدُّرَرِ الكَامِنَةِ»: ولد ابن رجب هذا رَحِمَهُ اللَّهُ ببغداد في ربيع الأول سنة ست [وثلاثين][١] وسبع مائة، وقدم دمشق مع والده، فسمع معه من محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الخبَّاز، وإبراهيم بن داود العطَّار وغيرهما. وبمصر من أبي الفتح المندومي[٢]، ومن أبي الحرم القلانسي وغيرهما. وأكثر من المسموع، وأكثر الاشتغال حتى مهر وصنَّف «شرح الترمذي» وقطعة من البخاري، و«ذيل طبقات الحنابلة»، و«اللطائف في وظائف الأيام» بطريق الوعظ، وفيه فوائد، و«القواعد الفقهية» أجاد فيه. وقرأ القرآن بالروايات، وأكثر عن الشيوخ، وخرج لنفسه مشيخة مفيدة، مات في شهر رجب سنة خمس وتسعين وسبع مائة ـ انتهى.

اللَّهم اغفر لكاتبه، ولمن سعى ونظر فيه. انتهى ما في هامش (أ).

وقد علمنا مما سبق من سطورٍ أن ابن رجب إمام، عالم، ثقة، حُجَّة، أثنى عليه الحافظ ابن حجر، ومن بعده، وله من المؤلَّفات:

ـ شرح البخاري.
ـ شرح الترمذي.
ـ شرح الأربعين النووية.
ـ جَامِعُ العلومِ والحِكَمِ في شرح خمسين حديثًا من جوامعِ الكَلِمِ.

(١) كذا الصواب، وقد فَصَّلت القول في ذلك في ترجمته في فضل علم السلف.
(٢) كذا، والصواب «الميدومي» بالياء.



- طبقات الحنابلة وذيله.
- القواعد الفقهيَّة.
- رياض الأنس.
- كَشْفُ الكُرْبة في وصف حال أهل الغربة.
- اللطائف في وظائف الأيام، وغيرها.
- وهذا الجزء اللطيف في شرح حديث «ما ذئبان جائعان».

وهذه العُجَالة النَّافعة تدل على براعة الحافظ ابن رجب، ونيَّته وإخلاصه نحو الأمة الإسلامية، فهي رسالة في الحديث، ورسالة في المواعظ تشتمل على أجزاءٍ متفرِّقة من البرِّ والصلة والرقائق والآداب، مختصرة غاية الاختصار، مستوفاة لما يريده المؤلِّف، وما يحتاج إليه الناس من الخواصِّ والعوامِّ، وقد اعتنى بطبعه ونشره والتعليق عليه أفاضل السَّلفيِّين في الهند، وهم: الشيخ عبدالغفَّار، والشيخ عبدالتَّواب، والشيخ عبدالبرِّ ـ رحمهم الله ـ في مطبعة «رفاه عام ـ لاهور» سنة ١٣٢٠هـ. وقد طُبِعَ في آخر «مختصر قيام الليل» للعلَّامة المقريزي مبسوطًا في ١٣ صفحة من القطع (٢٦ ـ ١٨) مع رسائل أخرى صغيرة.



وقد أبقينا تعليقاتهم في مواضعها لما فيها مزيد من الخير. وهذه النسخة جعلناها أصلًا ورمزنا لها بالألف (أ).

ثم طُبع هذا الجزء على هامش «جامع بيان العلم وفضله» لحافظ المغرب الإمام أبي عمر يوسف بن عبدالبر النمريِّ القرطبيِّ الأندلسيِّ (م ـ٤٦٣هـ)، وقف على طبعه ونشره «إدارة الطباعة المنيرية» بالشام، للشيخ السلفيِّ العالم العلَّامة محمد منير آغا الدمشقي، ولا ننسى ما له من الفضل على الأمة الإسلامية من طباعة المنتقاة، والذخائر النفيسة، والكنوز الذهبيَّة الثمينة لأعلام السلف الصالح.

وقد طبع هذا الجزء على هامشه عند ورود الحديث: «ما ذئبان جائعان» في باب ذم العالم على مداخلة السلطان الظالم (ص١٦٧ ـ ١٨٣) ولم يتبين لنا سَنَة طباعته. قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الحديث قد أفرده بعض العلماء بالتأليف وشرحه، ومما اطَّلَعت عليه أن للحافظ أبي الفرج بن رجب البغدادي جزءًا لطيفًا شرح فيه الحديث المذكور، وللمناسبة وزيادة الفائدة أحببت أَنْ أنقله بنصه، فأقول: قال: ثم نقل نص الرسالة من البَسْمَلَةِ إلى آخرها. ولم يذكر لنا أحد من الناشرين عن أصل هذا الجزء ومخطوطته إلا أنه يبدو لنا أنهما نسختان صحيحتان مضبوطتان، ليس فيهما إلا خِلَاف يسير لا يتجاوز عدد الأصابع. ثم إن هذا الجزء الذي بين أيدينا ينفرد



بخصائص نذكرها على الترتيب:

١ـ من حيث محتواه ومشمولاته وأبحاثه.

٢ـ من حيث مؤلِّفه، ذلك الإمام الورع.

٣ـ من حيث نسخه وكتابته أن جاء سليمًا مضبوطًا متقنًا.

٤ـ من حيث طبعه، بأن اعتناه أعلام السلفيين في الهند والشام.

٥ـ من حيث كونه في مكتبة «المدرسة العالية العربية» ـ الجامعة حاليًا ـ.

٦ـ ومن حيث أنه من إهداء المحدِّث أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (م ١٣٢٩هـ) للشيخ محمد أكبر المباركفوري وهو أحد الأبناء النجباء الَّذِين تخرجوا في المدرسة العالية العربية، واستودع هذا السفر الثمين في مكتبة المدرسة ليعمَّ نفعها، وعليها توقيع من المحدِّث المذكور. فجزاهم اللَّه عن الإسلام والمسلمين خيرًا، وجعلنا ممن يستمعون القول فَيَتَّبِعون أحسنه، وصلى اللَّه على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

* * *



نص الرسالة

«مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المرْءِ عَلَى المَالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ»

صدق الرسول الكريم ﷺ

الحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال الشيخُ، الإمامُ، العالمُ، العلَّامةُ، شيخُ الإسلامِ، بَقِيَّةُ السَّلف الكرام، زين الدين، أبو الفرج عبدالرحمن بن[1] الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام ابن رجب[2] البغدادي، الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:

[أ] خرَجَ الإمام أحمد، والنَّسائي، والترمذي، وابن حِبَّان في صحيحه من حديث كَعْب بن مالك الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ

---

(١) ب: «ابن».

(٢) ب: «وجب» بالواو تصحيف.

قال: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِيْ [زربية] غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ على المَالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ»(١).

قال الترمذي: حسن صحيح(٢).

وروي من وجه آخر عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله(٣) وَسَلَّمَ - من

(١) المسند (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠): حدثنا عبدالله، حدثني أبي، ثنا علي بن إسحاق، قال: أنا عبدالله وهو ابن المبارك بالإسناد التالي. وأورده الساعاتي في منحة المعبود (٢٢٠١). والنسائي في السنن الكبرى في الرقائق، عن سويد بن نصر، عن عبدالله بن المبارك، عن زكريا بن أبي زائدة، عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة، عن ابن كعب بن مالك عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره.
تحفة الأشراف (٨/ ٣١٦)، رقم (١١١٣٦)، والمغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٣٢) ورواه الترمذي في السنن في الزهد: باب (٣/ ٢٧٠): حدثنا سويد بن نصر، عن ابن المبارك. وابن حبان في صحيحه (٢٤٧٢) - موارد الظمآن، والترغيب والترهيب، ص (٥٨٠).
قلت: وأخرجه الدارمي في سننه في الرقائق: باب ما ذئبان جائعان (٢/ ٣٠٤): أخبرنا أبو النعمان، ثنا عبدالله بن المبارك، ونعيم بن حمّاد في زوائده في الزهد ص (١٨١)، وابن أبي الدنيا في القناعة ق (٥٧/ ٢)، والبغوي في شرح السُّنَّة (١٦/ ٢٥٨).
وذكره أيضًا الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: الأصل التاسع، والثمانون والمئتان في تمثيل الحرص والشرف بالذئبين ص (٤٢٢) من حديث كعب بن مالك ولم يذكر إسناده.
(٢) سنن الترمذي (٣/ ٢٧٠).
(٣) قوله «وآله» لم يرد في (ب) في هذا الموضع.



[ب/١٦٨] حديث ابن عمر(١)، وابن عباس(٢)، وأبي هريرة(٣)، / وأسامة بن زيد(٤)، وجابر(٥)، وأبي سعيد الخدري(٦)، وعاصم بن عديّ الأنصاري(٧) رضي الله عنهم أجمعين(٨).

---

(١) قال الترمذي: ويروى في هذا الباب عن ابن عمر عن النبي ﷺ، ولا يصح إسناده.
قال المباركفوري: حديث ابن عمر هذا رواه البزّار بلفظ: «مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ في حَظِيرَةٍ يَأْكُلَانِ وَيُفْسِدَانِ بِأَضَرَّ فِيهَا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَحُبِّ المالِ في دِينِ المَرْءِ المسْلِمِ». ذكره المنذري في الترغيب في (٥٨٠) وقال: إسناده حسن «تحفة الأحوذي» (٣/ ٢٧٨).
(٢) سيأتي جزء من لفظه، ولم يذكر من خرّجه.
(٣) حديث أبي هريرة رواه البزّار بلفظ: «ما ذئبان ضاريان جائعان». «المغني عن حمل الأسفار» (٣/ ٢٣٢).
والطبراني ولفظه: «ما ذئبان ضاريان جائعان باتا في زريبة غنم، أغفلها أهلها يفترسان ويأكلان بأسرع فيها فسادًا من حب المال والشرف في دين المرء المسلم». ورواه أبو يعلى بنحوه، وإسنادهما ـ الطبراني وأبي يعلى ـ جيد (الترغيب والترهيب) ص (٥٨).
(٤) لم أقف من أخرجه.
(٥) سيأتي لفظ حديثه ولم يذكر من أخرجه.
(٦) حديث أبي سعيد الخدري: رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين فيهما ضعف، بلفظ «ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأكثر إفسادًا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم» «المغني عن حمل الأسفار» (٣/ ٢٣٢).
(٧) حديث عاصم بن عديّ الأنصاري أخرجه الطبراني كما سيأتي.
(٨) وقال ابن عبدالبر: قال وهب بن منبه: إن جمع المال وغشيان السلطان لا يبقيان من حسنات المرء إلا كما يبقى ذئبان جائعان ضاريان سقطا في حظار غنم فباتا=



وقد ذكرتها كلها مع(١) الكلام عليها في كتاب «شرح الترمذي»(٢).

وفي لفظ حديث جابر رضي الله عنه(٣): «مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ يَأْتِيَانِ فِي غَنَمٍ غَابَ رِعَاؤُهَا بِأَفْسَدَ لِلنَّاسِ مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَالِ لِدِينِ الْمُؤْمِنِ»(٤).

=يجوسان حتى أصبحا «جامع بيان العلم» (١/ ١٦٨).

(١) ب: «والكلام عليها».

(٢) قلت: وذكره ابن عبدالبر من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدين المرء»، ولم يذكر إسناده «جامع بيان العلم» (١/ ١٦٧).
وذكره أيضًا في قول النبي ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حب المرء للمال والشرف»، ولم يذكر من رواه عنه «جامع بيان العلم» (٢/ ١١).
وأورده الغزالي من قوله ﷺ أيضًا. بلفظ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم» «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٣٢)، «بيان ذمّ المال وكراهة حبه».
وقد أشار إلى هذا الحديث في «بيان علاج حب الجاه» بقوله: ولذلك شبّه رسول الله ﷺ حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٨٧).
وأورده أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٢٠)، (٧/ ٨٩) بلفظ: «ما ذئبان ضاريان». «البغية في ترتيب أحاديث الحلية» ص (٥٩).

(٣) في (أ): «رض» رمز لكلمة الرضوان في المواضع كلها مع اسم الصحابة.

(٤) لم أجد من أخرج حديث جابر رضي الله عنه بهذا اللفظ، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١٠٥) بإسناده عنه بلفظ: «ما ذئبان ضاريان في غنم غاب رعاؤها بأفسد من التماس الشرف والمال لدين المؤمن».



وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: «**حب المال والشرف**» بدل «**الحرص**»(١).

فهذا مثل عظيم جِدًا ضَرَبَهُ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله(٢) وَسَلَّمَ ـ لفساد دين المسلم بالحرص على المال، والشرف في الدنيا. وإن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيان في الغنم وقد غاب [عنها] رعاؤها ليلًا، فهما يأكلان في الغنم، ويفترسان فيها. ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين ـ والحالة ـ هذه إلا قليل. فأخبر النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله(٣) وَسَلَّمَ ـ أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه، ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما/ أن يكون مساويًا، وإما أكثر. يشير [إلى] [٢/أ]
أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شرِّ الحرص على المال والشرف في الدنيا.

(١) لم أجد أيضًا من أخرجه.
(٢) «وآله» ليس في (ب).
(٣) أيضًا لم يرد.

الحرص على المال وأنواعه

فأما الحرص على المال، فهو على نوعين:

أحدهما: شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة، والمبالغة في طلبه، والجدّ في تحصيله، واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقَّة.

وقد ورد أن سبب الحديث: كان وقوع بعض أفراد هذا [النوع]، كما [أ]خرَجه الطبراني من حديث عاصم بن عديّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: اشتريت مائة سَهْم مِنْ سِهَام خَيْبَر فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَتَانِ فِي غَنَمٍ أَضَاعَهَا رَبُّهَا بِأَفْسَدَ مِنْ طَلَبِ المسْلِمِ الْمَالَ وَالشَّرَفَ لِدِينِهِ**»[١].

[**قلت**] ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له. وقد كان يمكن صاحبه [فيه] اكتساب الدرجات العلى، والنعيم المقيم، فَضَيَّعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتي منه إلا ما قدِّر وقسم، ثم لا ينتفع به، بل يتركه لغيره، ويرتحل عنه، ويبقى حسابه عليه، ونفعه لغيره، فيجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يعذره، لكفاه بذلك ذمًّا للحرص. فالحريص يضيِّع زمانه الشريف، ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار، وركوب

(١) المعجم الأوسط للطبراني، مجمع البحرين (٥/ ٤٨١)، مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٠).



الأخطار، لجمع مال ينتفع به غيره، كما قيل:

[من الطويل]

وَمَنْ يُنْفِقِ اَلْأَيَّامَ فِي جَمْعِ مَالِهِ ... مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ اَلْفَقْرُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اَلْفَقْرَ مِنْ فَقْدِ الغِنَى ... وَلَكِنَّ فَقْدَ اَلدِّين مِنْ أَعْظَمِ الفَقْرِ

قيل لبعض الحكماء: إن فلانًا جمع مالًا.

فقال: فهل جمع أيامًا ينفقه فيها؟

قيل: لا، قال: ما جمع شيئًا.

وفي بعض الآثار الإسرائيلية: «الرزق مقسوم، والحريص محروم، ابن آدم: إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة».

[من الطويل]:

إِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا عَنِ الخَيْرِ عَاجِزًا ... فَمَا أَنْتَ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ صَانِعُ؟!

[ب/١٦٩] /«قال ابن مسعود» رضي الله عنه: «اليقين أن لا تُرضي الناس بسخط اللَّه، ولا تحسد أحدًا على رزق اللَّه، ولا تلوم[(١)] أحدًا على ما لم يؤتك اللَّه؛ فإنَّ الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره، فإن اللَّه بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهمَّ والحزن في الشكِ والسخط».

وقال بعض السَّلَف: «إذا كان القدر حقًا فالحرص باطل، وإذا كان

(١) أ: «لا تُلِمَّ».



الغدر[١] في الناس طباعًا[٢] فالثقة بكل أحد عجز، وإذا كان الموت لكل أحدٍ راصدًا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق».

كان عبدالواحد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] يحلف بالله: «لحرص المرء على الدنيا أخوف عندي من أعدى أعدائه».

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «يا إخوتاه: لا تغبطوا حريصًا على ثروته وسعته في مكسب ولا مال، وانظروا له بعين المقت[٤] له في اشتغاله اليوم بما يرديه غدا في المعاد، ثم يتكبر».

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «اَلحِرْصُ حِرْصَانِ: حِرْصٌ فَاجِعٌ[٥]، وحِرْصٌ نَافِعٌ».

فأما الحرص النافع: فحرص المرء على طاعة الله.

وأما الحرص الفاجع: فحرص المرء على الدنيا وهو مشغول

---

(١) أ: «القدر» بالقاف.

(٢) ورد في هامش (أ): الطبع، والطبيعة، والطباع ككتاب: الخليقة والسَّجِيَّة التي جبل عليها الإنسان. أو الطباع ككتاب: ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التي لا تزايلنا، كالشدة، والرخاء، والبخل، والسخاء، والطباع واحد مذكر ويجمع (من القاموس وتاج العروس).
قلت: لينظر مادة «طبع» فيهما وفي لسان العرب.

(٣) كلمة الترحم لم ترد في (ب) والمطبوعة مع الأسماء، وقد رمز له في (أ) مع كل اسم بـ«رح» واستحسنت كتابته بالحروف، والغالب أنه من زيادة الناسخ الهندي.

(٤) المقت: أشد البغض. كذا فوقه في (أ).

(٥) فاجع: موجع. كذا فوقه في (أ).



معذَّب، لا يُسَرُّ ولا يُلذُّ بجمعه لشغله، فلا يفرغ من محبة الدنيا لآخرته كذلك، وغفلته عما يدوم ويبقى.

ولبعضهم في هذا المعنى [من البسيط]:

لَا تَغْبِطَنَّ أَخَا حِرْصٍ عَلَى سِعَةٍ ... وَانْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ المَاقِتِ القَالِي
إِنَّ الحَرِيصَ لَمَشْغُولٌ بِتَشْوُقَةٍ[1] ... عَنِ السُّرُورِ بِمَا يَحْوِي مِنَ المَالِ

ولآخر في هذا المعنى [من البسيط]:

يَا جَامِعًا مَانِعًا وَالدَّهْرُ يَرْمُقُهُ ... مُفَكِّرًا أَيَّ بَابٍ مِنْهُ يُغْلِقُهُ
جَمَعْتَ مَالًا فَفَكِّرْ هَلْ جَمَعْتَ لَهُ ... يَا جَامِعَ المَالِ أَيَّامًا تُفَرِّقُهُ
المَالُ عِنْدَكَ مَخْزُونٌ لِوَارِثِهِ ... مَا المَالُ مَالُكَ إِلَّا يَوْمَ تُنْفِقُهُ
إِنَّ القَنَاعَةَ مَنْ يَحْلُلْ بِسَاحَتِهَا ... لَمْ يَأْلُ فِي طَلَبٍ[2] مِمَّا يُؤَرِّقُهُ[3]

[و] ذكر كلام بعض الحكماء:

[و] كتب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصًا على الدنيا: «أما بعد: فإنك أصبحت حريصًا على الدنيا، تخدمها وهي تخرجك عن نفسها بالإعراض والأمراض والآفات والعلل، كأنك لم تر حريصًا محرومًا، وزاهدًا مرزوقًا، ولا مَيِّتًا عن كثير، ولا مُتَبَلِّغًا من الدنيا باليسير».

[٣/أ] [و] عاتب أعرابي / أخاه على الحرص فقال له: «يا أخي أنت

(١) ب والمطبوعة: «بثروته».
(٢) أ: «في طلبها».
(٣) البيت الأخير في المستطرف (١/ ٦٨) بدون عزو، وفيه: إن القناعة... لم يلق في ظلها هَمًّا يؤرِّقه، وكذا في المطبوعة.



طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب من قد كفيته، [كأنك] يا أخي لم تر حريصًا محرومًا، وزَاهِدًا مرزوقًا».

وقال بعض الحكماء: «أطول الناس هَمًّا الحسود، وأهنأهم عَيْشًا القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص، وأخفضهم عَيْشًا أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامةً العالم المفرِّط».

ولبعضهم في هذا المعنى [من الرجز المجزوء]:

الحرص داء قد أضـ　　ـر بمن ترى إلا قليلا
كم من حريص طامع　　صـيـره الحرص ذلـيـلا

/[وقال] غيره [من...]: [ب/١٧٠]

كـم أنـت لـلـحـرص　　والأمـــانـــي عـــبـــد
ليس يجديك الحرص[١]　　والسعي إذا لم يكن جد
ما لـمـا قدره اللَّه　　مـن الأمـر بـد[٢]

ولأبي العتاهية [يخاطب سلما الخاسر] [من الوافر]:

تَعالى اللَّهُ يا سَلَمَ بن عمرو[٣]　　أَذَلَّ الحِرصُ أَعناقَ الرِّجالِ[٤]

(١) أ: «يجدلك». قال في الهامش: كذا في الأصل.
(٢) الأبيات هكذا في (أ) و(ب)، ولم أجد في المراجع ما يقومها، لذا لم نذكر ميزانه.
(٣) قال في هامش (أ): هو سلم بن عمرو بن حماد، كان شاعرًا معاصرًا لأبي العتاهية، ويسمى «خاسرًا»، لكونه باع مصحفًا، واشترى به طنبورًا، وكان من تلامذة بَشَّار، يأخذ معانيه، ويكسوها ألفاظًا أخفَّ من ألفاظه. وكان سلم يدخل على المهدي وينشد له الأشعار فيجيزه، فقال فيه أبو العتاهية هذا الشعر، مات سلم سنة ١٧٦هـ - ٧٩٣م.
(٤) الأغاني (٢١/ ٧٣) وما بعدها، مهذب الأغاني (٩/ ٤٥)، معاهد التنصيص=



ومن كلام المأمون [وقال بعض الحكماء]: الحرص مفسدة للدين والمروءة(١).

وأنشد(٢) [بعضهم]:

[من المجتث]

حِرْصُ الحَرِيصِ جُنُونُ وَالصَّبْرُ حِصْنٌ حَصِينُ
إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئًا فَـإِنَّـهُ سَـيَـكُـونُ

[وقال] غيره:

[من البسيط]

حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي حَلٍّ وتِرْحَالِ وَطُولِ سَعْيٍ وإِدْبَارٍ وَإِقْبَالِ
وَنَازِحُ(٣) الدَّارِ لَا يَنْفَكُّ مُغْتَرِبًا عَنِ الأَحِبَّةِ لَا يَدْرُونَ مَا حَالِي(٤)
بِمَشْرِقِ الأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبًا لَا يَخْطُرُ المَوتُ مِنْ حِرْصٍ عَلَى بَالِ
وَلَو قَنَعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دِعَةٍ إِنَّ القُنُوعَ الغِنَى لَا كَثْرَةَ المَالِ

=(٤/ ٣٧)، تقريب المعاهد (١٥٢/ أ). وبعد البيت:

هَبْ الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى الزَّوَالِ؟!

(١) كذا في (أ) و(ب)، وكتب في هامش (أ): «كذا في الأصل». وما بين المعقفين زيادة من أدب الدنيا والدين، باب أدب الدنيا ص (٢٠٠)، وزاد من قول ذلك الحكيم أيضًا: «والله ما عرفت من وجه رجل حرصا فرأيت أن فيه مصطنعًا».

(٢) وهو أبو العتاهية أيضًا.

(٣) (أ): «وتارخ الدار»، وقال في الهامش: كذا في الأصل.

(٤) (ب) و(د): «لا يدرون بالحال».



ولمحمود الوراق وله:

[من الرَّمل]:

أَيُّهَا المُتْعِبُ جَهْدًا نَفْسَهُ   يَطْلُبُ الدُّنْيَا حَرِيصًا جَاهِدًا
لَا لَكَ الدُّنْيَا وَلَا أَنْتَ لَهَا   فَاجْعَلْ الهَمَّيْنِ هَمًّا وَاحِدًا

النوع الثاني: من الحرص على المال أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول حتى يطلب المال من الوجوه المحرَّمَة، ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا من الشُّحِّ المذموم. قال اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩، التغابن: ١٦].

وفي سنن أبي داود عن عبداللَّه بن عمر [و][(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالفُجُورِ فَفَجَرُوا»[(٢)].

(١) هو من حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص، وليس من حديث عبداللَّه بن عمر ابن الخطاب، والتصويب من المصادر التي أخرجت الحديث.

(٢) أبو داود في السنن في الزكاة: باب في الشح، بلفظ: «إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا».
ورواه النسائي في الكبرى في التفسير، أتم من الأول، وأوله: «اتقوا الظلم» (تحفة الأشراف) (٦/ ٢٩٠/ رقم ٨٦٢٨)، و«المغني عن حمل الأسفار» (٣/ ٢٥٢).
ورواه ابن حبان في صحيحه، كذا في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٥٢).
ورواه الحاكم «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٤١٥) وصححه ـ ووافقه الذهبي ـ،



وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»(١).

❑ ذكر معنى الشح(٢)

قال طائفة من العلماء: «الشح» هو: الحرص الشديد الذي

بلفظ: «إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش، فإن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، وإياكم والشح، فإنما أهلك من كان قبلكم الشح. أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا» «المغني عن حمل الأسفار» (٣/ ٢٥٢، ٢٥٣).

(١) مسلم في الصحيح في البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم، بلفظ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح...». وعبد بن حميد في المختصر من مسنده ص (٣٤٦/ رقم ١١٤٣) بلفظ: «إياكم - فإنه...».
ورواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٣) والبخاري في «الأدب المفرد» باب الظلم ظلمات رقم (٤٨٣). والبيهقي في «الأربعون الصغرى» ص (٢٦٦ - ٢٦٧) والبغوى في «شرح السنة» (١٤/ ٣٥٧) وفي «معالم التنزيل».
قلت: وأخرجه الحاكم «المستدرك» أيضًا من حديث أبي هريرة بلفظ: «إياكم والشح، فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم، ودعاهم فاستحلوا حرماتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم» «المغني عن حمل الأسفار» (٣/ ٢٥٣).
وأورده الغزالي من قول النبي ﷺ فقط، وفيه: «محارمهم»: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٥٢ - ٢٥٣).

(٢) يراجع في ذلك الآداب الشرعية (٢/ ٣٩٢) وما بعدها، والروح لابن القيم ص (٢٢٨).



يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حِلِّهَا، ويمنعها حقوقها[1].

وحقيقته أن تتشوف النفس إلى ما حَرَّمَ اللَّه ومنع منه، وأن لا يقنع الإنسان بما أَحَلَّه اللَّه له من مال أو خرج[2] أو غيرهما. فإن اللَّه - تَعَالَى - أحل لنا الطيبات من المطاعم[3] والمشارب والملابس والمناكح، وحَرَّمَ تناول هذه الأشياء من غير وجوه حِلِّهَا، وأباح لنا دماء الكفار المحاربين وأموالهم، وحَرَّمَ علينا ما عدا ذلك من الخبائث من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحَرَّمَ علينا أخذ الأموال/ وسفك [ب ١٧١] الدماء بغير حقها. فمن اقتصر على ما أبيح له فهو مؤمن، ومن تعدى ذلك إلى ما منع منه فهو الشُّحُّ المذموم، وهو مُنافٍ للإيمان.

ولهذا أخبر النبي ﷺ أَنَّ الشُّحَّ يأمر بالقطيعة، والفجور، وبالبخل.

❑ الفرق بين البخل والشُّح:

والبخل: هو إمساك ما في يده.

والشح: تناول ما ليس له ظلمًا وعدوانًا من مال غيره، حتى قيل:

(١) قلت: للشح معان كثيرة في كتب التفسير واللغة، فليراجع هنالك.

(٢) الخرج: هو الخراج والإتاوه مع الفرق بينهما عند بعض أهل اللغة (لينظر: لسان العرب [خرج]).

(٣) (ب): «المطامع».



إنه رأس المعاصي كلها. وبهذا فَسَّرَ ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من السلف «الشح» و«البخل»(١).

ومن هنا يعلم معنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ فِي مُؤْمِنٍ»(٢).

(١) قلت: تفسير ابن مسعود للشح في هذا المعنى، أخرجه الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصَحَّحَه، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان عنه رضي الله عنه أن رجلًا قال: إني أخاف أن أكون قد هلكت. قال: وما ذاك؟ قال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج مني شيء. فقال له ابن مسعود: ليس ذلك بالشح، ولكنه البخل، ولا خير في البخل. وإن الشح الذي ذكره الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلمًا. (لينظر: جامع البيان للطبري، وتفسير ابن كثير، وفتح القدير للشوكاني، تفسير الآية).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٦، ٣٤٠، ٣٤٢، ٤٤١) وغيرها.
والطيالسي في المسند (٢/ ٦٣) رقم (٢١٩٨).
والبخاري في الأدب المفرد، باب الشح ص (١٠٨) رقم (٢٨٢) والنسائي في المجتبى في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (٢/ ٤٨ - ٤٩) رقم (٣١١٢، ٣١١٣، ٣١١٤، ٣١١٦، ٣١١٧).
وابن حبان في الصحيح في الجهاد، باب فضل الجهاد (موارد الظمآن) ص (٣٨٥) والحاكم في المستدرك في الجهاد، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
وأقره الذهبي (المستدرك) (٢/ ٧٢).
والبيهقي في «الأربعون الصغرى» ص (٢٦٧ - ٢٦٨). =



والحديث الآخر عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَفْضَلُ اَلإِيمَانِ الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ**»(١).

وَفُسِّرَ «**الصَّبر**» بالصبر عن المحارم. و«**السَّماحة**» بأداء الواجبات.

وقد يستعمل «**الشح**» بمعنى «**البخل**» وبالعكس، ولكن الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه(٢).

ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والإيمان بلا ريب حتى لا يبقى منه إلا القليل.

* * *

= وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٢٩) ولم يذكر من أخرجه.
قلت: وقد ورد عن أبي هريرة من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه، وفيه «ولا يجتمعان في قلب عبدالإيمان والحسد» (المجتبى للنسائي) (٢/ ٤٨) رقم (٣١١١).

(١) رواه ابن أبي شيبة عن جابر (الإيمان لابن أبي شيبة) ص (١٤) رقم (٤٣) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر وابن عدي في الكامل وخرجه الألباني في الصحيحة تحت الأرقام (٤٩٥، ٥٥١، ٥٥٤).

(٢) قال أبو هلال العسكري: الفرق بين الشح والبخل: أن «الشح»: الحرص على منع الخير. و«البخل»: منع الحق، فلا يقال لمن يؤدي حقوق اللّٰه ـ تَعَالَى ـ بخيل (الفروق اللغوية) ص (١٤٤).



ذكر الحرص على الشَّرف

[٤/أ] وأما حرص المرء / على الشرف، فهذا أشد هلاكًا من الحرص على المال؛ فإن طلب شرف الدنيا، والرفعة فيها، والرِّيَاسة على الناس، والعلوّ في الأرض أضر على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف.

❑ **والحرص على الشَّرف على قسمين:**

أحدهما: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا أخطر جدًا، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزَّها. قال اللَّه ـ تعَالَى ـ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]. وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيُوَفَّق(١)، بل يُوَكَّل(٢) إلى نفسه، كما قال النبي ﷺ لعبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه: «**يَا عَبْدَالرَّحْمَنِ: لَا تَسْأَلْ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا**»(٣).

---

(١) (أ): (فوفق).

(٢) في هامش (أ): «رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت».

(٣) البخاري في الأيمان والنذور، باب قول اللَّه ـ تعَالَى ـ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ الآية. وفي الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه اللَّه. وأيضًا باب=



قال بعض السلف: «ما حرص أَحَدٌ على ولايةٍ فَعَدَلَ فيها».

وكان يزيد بن عبدالله بن موهب من قضاة العدل والصالحين، وكان يقول: «من أَحَبَّ المال والشرف، وخاف الدوائر لم يعدل فيها».

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَتِ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ**»(١).

=من سأل الإمارة وكل إليها. وأيضًا باب الكفارة قبل الحنث وبعدها. ورواه مسلم في الأيمان والنذور، باب الحلف بغير الله ـ تَعَالَى ـ، بأسانيد عديدة وفي المغازي، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها.

ورواه أبو داود في الخراج والإمارة من سننه، باب ما جاء في طلب الإمارة رقم (٣٩٢٩).

ورواه الترمذي في الأيمان والنذور من سننه رقم (١٥٢٩) باب... وقال: حسن صحيح.

والنسائي في المجتبى في أدب القضاة، باب النهي عن مسألة الإمارة (٢/ ٣٠٠) رقم (٥٣٨٦). وفي السنن الكبرى في السير (١٠٢: ١) كما في تحفة الأشراف (٧/ ١٩٩) رقم (٩٦٩٥) وفي القضاة (٥: ١) والسير، أيضًا من الكبرى (تحفة الأشراف أيضًا) ورواه أحمد في المسند (٥/ ٦٢، ٦٣).

والدارمي في سننه في الأيمان والنذور، باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها (٢/ ١٨٦). وابن سعد في الطبقات الكبرى في ترجمته (٧/ ٢٦٧) مختصرًا.

(١) البخاري في الأحكام من صحيحه، باب ما يكره من الحرص على الإمارة (١٣/ ١٢٥) رقم (٧١٤٨فتح). ورواه أحمد في المسند (٢/ ٤٤٨، ٤٧٦). =



وفيه أيضًا عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رجلين قالا للنبي ﷺ: يا رسول الله: أمِّرنا، قال: «إِنَّا لَا نُؤْتِي أَمْرَنَا هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»(١).

[ذكر كلام الآجري]:

واعلم أن الحرص على الشرف يستلزم حرصًا عظيمًا قبل وقوعه
[ب/١٧٢] في السعي في أسبابه، وبعد/ وقوعه بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد.

وقد صَنَّفَ أبو بكر الآجري(٢) - وكان من العلماء الربانيين في

= والنسائي في المجتبى في أدب القضاة، باب النهي عن مسألة الإمارة (٢/ ٣٠٠) رقم (٥٣٨٧) وأورده ابن عبد ربه في العقد الفريد (١/ ٨١).

(١) البخاري في الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة (١٣/ ١١) رقم (٧١٤٩ - فتح). ومسلم في المغازي، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها. والنسائي في المجتبى في البيعة، باب ما يكره من الحرص على الإمارة (٢/ ١٧٩) رقم (٤٢١٦) وفي أدب القضاء، باب ترك استعمال من يحرص على القضاء (٢/ ٣٠٠) رقم (٥٣٨٤) من غير هذا اللفظ. ولفظه سواء في الموضعين بل تكرر الإسناد واللفظ معًا.
ورواه أبو داود بلفظ ثالث في الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في طلب الإمارة. وابن عبد ربه في العقد الفريد (١/ ٢١).

(٢) في هامش (أ): قال ابن خلكان: وأخبرني بعض العلماء أنه (الإمام الآجري) لما دخل مكة حرسها الله - تَعَالَى - أعجبته، فقال: «اللَّهم ارزقني الإقامة بها سَنَة». فسمع هاتفًا يقول: بل ثلاثين سنة. فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة، ثم مات بها في أول يوم من المحرم سنة ٣٦٠هـ. (وفيات الأعيان: ترجمة الآجري).



أوائل المائة الرابعة - تصنيفًا في أخلاق العلماء وآدابهم[١]، وهو من أجلِّ ما صُنِّفَ في ذلك، ومن تأمله علم منه طريقة السلف من العلماء والطرائق التي حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم، فوصف فيه عالم السوء بأوصاف طويلة، منها أنه قال:

«قد فتنه حب الثَّناء والشَّرف والمنزلة عند أهل الدنيا، يتجمَّل بالعلم كما يتجمَّل بالحُلة الحسناء للدنيا، ولا يُجَمِّل علمه بالعمل به».

وذكر كلامًا طويلًا إلى أن قال:

«فهذه الأخلاق وما يشبهها تغلب على قلب من لم يتضمخ[٢] بالعلم، فبينا هو مقاربٌ لهذه الأخلاق إذ هَبَّت[٣] نفسه في حبِّ الشَّرف والمنزلة، فأحبَّ مجالسة الملوك وأبناء الدنيا، فأحبَّ أن يشاركهم فيما هم فيه: مِنْ منظرٍ بهيّ، ومركبٍ هَنيء، وخادمٍ سري[٤]. ولباسٍ لينٍّ، وفراشٍ ناعم، وطعامٍ شهيّ، وأحبَّ أن يعتني

---

(١) ورد في هامش (ب): إن شاء اللَّه - تَعَالَى - سنقوم بطبعه قريبًا.

قلت: قد طبع هذا الكتاب باسم «أخلاق العلماء» طبعة دار القبس للنشر والتوزيع ومن أهم كتبه «الشريعة» وهو أيضا مطبوع.

(٢) لم يتضمخ، أي: لم يتلطخ. كذا فوق في (أ) (لسان العرب [ضمخ]).

(٣) كذا مشكولة في (أ)، وكتب فوقه معناه: أي هاجت ونهضت بنشاط. وورد في (ب): «إذ ذهبت».

(٤) سري: شريف ذي مروءة. كذا فوقه في (أ). قلت: هو من السرو، على «فعيل». وقال الجوهري: السرو: سخاء في مروءة (الصحاح ولسان العرب [سرا]).



به، وأن يسمع قوله، ويطاع أمره، فلم يقدر عليه إلا من جهة القضاء فطلبه، فلم يمكنه إلا ببذل دينه، فتذلَّل للملوك وأتباعهم، فخدمهم بنفسه، وأكرمهم بماله، وسكت عن قبيح ما ظهر له من الدخول في أيواناتهم ومنازلهم من أفعالهم، ثم قد زيَّن لهم كثيرًا من قبيح فعلهم بتأوّله الخطأ، ليحسن موقفه عندهم فلمَّا فعل هذا مدةً طويلةً، واستحكم فيه الفساد، ولّوه القضاء، فَذُبِحَ بغير سكين[١].

فصارت لهم عليه مِنَّة عظيمة، ووجب عليه شكرهم: فآلم[٢] نفسه لئلا يغضبهم عليه فيعزلوه عن القضاء، ولم يلتفت إلى غضب مولاه، فاقتطع أموال اليتامى، والأرامل، والفقراء، والمساكين، وأموال الوقف، والمجاهدين، وأهل الشرف بالحرمين، وأموالًا يعود نفعها على جميع المسلمين، فأرضي الكاتب والحاجب والخادم، فأكل الحرام، وأطعم الحرام، وكثر الداعي عليه. فالويل لمن أورثه علمه هذه الأخلاق.

وهذا العلم هو الذي استعاذ منه النبي ﷺ[٣]، وأمر أن يستعاذ

(١) من حديث روى أبو هريرة أنه ﷺ قال: «من ولي القضاء، أو قال: «من جعل قاضيًا بين الناس فقد ذبح بغير سكين». رواه الخمسة إلا النسائي (المنتقى) (٩/ ١٦٢)، الأقضية والأحكام، باب التشديد في الولايات).

(٢) كذا ضبطه في (ب)، وفي (أ): «ألم».

(٣) انظر لهذه الأحاديث الصحيح لمسلم (٢٧٢٢)، وجامع بيان العلم (١/ ١٦١، ١٦٢)، والعلم لأبي خيثمة ص (١٤٨) رقم (١٦٥)، ومسند أحمد (٣/ ١٩٢، ٢٢٥، ٣/ ٢٨٣)، والمجتبى للنسائي (٢/ ٢١٦)، ومسند الطيالسي (١/ ٢٥٨) رقم (١٢٨٢).

منه[١].

/ وهذا العالم الذي قال فيه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله[٢] وَسَلَّمَ -: [٥/أ]
«**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ**»[٣].

وَكَانَ يَقُولُ: «**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ**»[٤].

وكان عليه السلام يقول: «**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ**»[٥].

هذا كله كلام الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - وكان في أواخر الثلاث مائة[٦] ،ولم يزل الفساد متزايدًا على ما ذكرناه أضعافًا مضاعفة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) رواه ابن ماجه في الدعاء وإسناده حسن (المغني) (١/ ٢)، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١/ ١٦٢) عن جابر بلفظ: «سلوا الله علمًا نافعًا، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع».

(٢) «وآله» سقطت من (ب).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٦٢)، وهو حديث ضعيف (المغني عن حمل الأسفار) (١/٢).

(٤) سبق تخريج أحاديث هذا الباب وأروده الماوردي في أدب الدنيا والدين، باب أدب الدين ص (٩٤) وانظره من حديث أنس وعبدالله بن عمرو وأبي هريرة وزيد بن أرقم وابن مسعود وجابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فيما أخرجناه قبل قليل.

(٥) (جامع بيان العلم) (١/ ١٦٢).

(٦) وهو إذ ذاك كان في عنفوان شبابه حوالي ابن عشرين سنة.



[ب/١٧٣] ومن دقيق آفات حبِّ الشَّرف طلب/ الولايات والحرص عليها، وهو بابٌ غامضٌ لا يعرفه إلا العلماء باللَّه، العارفون به، المحبون له، الذين يعادون له من جهال خلقه، المزاحمين لربوبيته وإلهيته، مع حقارتهم وسقط منزلتهم عند اللَّه وعند خواص عباده العارفين به، كما قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيهم: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين(١)، فَإِنَّ ذُلَّ المعصية في رقابهم، أبى اللَّه إلا أن يُذِلَّ من عصاه».

وحب الشرف بالحرص على نفوذ الأمر والنهي، وتدبير أمر الناس، إذا قصد بذلك مجرد علو المنزلة على الخلق، والتعاظم عليهم، وإظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس وافتقارهم إليه، وذلّهم في طلب حوائجهم منه، فهذا نفسه مزاحمة لربوبية اللَّه وإلهيته. وربما تَسَبَّبَ بعض هؤلاء إلى إيقاع الناس في أمرٍ يحتاجون فيه إليه، ليضطرهم بذلك إلى رفع حاجاتهم إليه، وظهور افتقارهم واحتياجهم إليه، ويتعاظم بذلك ويتكبَّرَ به. وهذا لا يصلح إلا للَّه وحده لا شريك له، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام: ٤٢]. وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ

(١) ورد في هامش (أ): «الطقطقة كالدقدقة: صوت حافر الخيل. والهملجة: مشي شبه الهرولة».



يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وفي بعض الآثار: «**أَنَّ اللَّهَ ـ تَعَالَى ـ يَبْتَلِيَ عَبْدَهُ بِالبَلَاءِ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ**»(١).

وفي الآثار أيضًا:

«**إِنَّ العَبْدَ إذا دعا اللَّه ـ تَعَالَى ـ وهو يحبه، قال اللَّه ـ تعالَى ـ يا جبريلُ: لا تُعَجِّل لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ**» فهذه الأمور أصعب وأخطر من مجرد الظلم، وأدهى وأمرّ من الشرك. والشرك أعظم الظلم عند اللَّه(٢).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: يقول اللَّه ـ تَعَالَى ـ: «**الكِبْرِياءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِما عَذَّبْتُهُ**»(٣).

وكان بعض المتقدمين قاضيًا فرأى في منامه كأن قائلًا يقول له:

---

(١) أورده الغزالي من قول النبي ﷺ بلفظ: «إذا أحب اللَّه عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه» (إحياء علوم الدين) (١/ ٣٠٦) وضعفه العراقي، انظر المغني (١/ ٣٠٦) وضعيف الجامع (١/ ١٢٧/ ٢٩٤).

(٢) وذلك قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

(٣) رواه مسلم في الصحيح في البر والصلة والآداب (٢٦٢٠) باب تحريم الكبر، والبخاري في الأدب المفرد، باب الكبر ص (١٩٢) رقم (٥٥٢). وأخرجه أبو داود في اللباس وابن ماجه (٢/ ٥٤٤)، وابن حبان في صحيحه (كما في المغني عن حمل الأسفار) (١/ ٤٥) والبيهقي والحميدي في مسنده (٢/ ٤٩٦) رقم (١١٤٩).



«أنْت قاضٍ. واللّهُ قاضٍ» فاستيقظ منزعجًا، وخرج عن القضاء وتركه.

❑ ذكر النهي عن أن يدعي أحد بقاضي القضاة ونحوه:

وكان طائفةٌ من القضاة الورعين يمنعون الناس أن يدعوهم بـ«قاضي القضاة» فإن هذا الاسم يشبه «ملك الملوك» الذي ذَمّ النبي ﷺ التسمية به(١)، وقال: «لَا مَالِكَ إلَّا اللَّه»(٢).

(١) رواه البخاري في الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله (١٠/ ٥٨٨) رقم (٦٢٠٥، ٦٢٠٦)، ومسلم في الاستئذان، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك. وأبو داود في الأدب في تغيير الاسم القبيح رقم (٤٩٦١) والترمذي في الاستئذان باب ما جاء ما يكره من الأسماء رقم (٢٨٣٩/٤/ ٢٩) (تحفة الأحوذي) وقال: حسن صحيح، والبخاري في الأدب المفرد، باب أبغض الأسماء إلى الله ﷻ ص (٢٧٦) رقم (٨١٩) وأحمد في مسنده، كلهم عن أبي هريرة بلفظ: «إن أخنع ـ أو: أخنى ـ اسم عند الله ﷻ يوم القيامة، كما في بعض الروايات ـ رجل تسمى ملك الأملاك» وأخرج الطبراني بلفظ: «اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك» (الجوائز والصلات) ص (٤٤٧).
قال سفيان بن عيينة ـ أحد رواة هذا الحديث في بعض طرقه ـ «ملك الأملاك» مثل «شاهنشاه».
ورواه أيضًا أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣١٢، ٩/ ٢٣٣) كما في البغية في ترتيب أحاديث الحلية ص (٩).
والخطيب البغدادي في تاريخ (٦/ ٣٣) كما في مفتاح الترتيب لأحاديث تأريخ الخطيب ص (٥).
(٢) هذه الزيادة لم أجدها في شيء مما خرّجنا منه حديث النهي إلَّا أحمد ومسلم=



و«حاكم الحكام» مثله أو أشدّ(١).

❑ طلب المدح من الناس

ومن هذا الباب أيضًا: أن يُحِبَّ ذو الشَّرف والولاية أن يحمد على أفعاله، ويثني عليه بها، ويطلب من الناس ذلك، ويتسبَّب في أذى من لا يجيبه إليه.

وربما كان ذلك الفعل إلى الذمِّ أقرب منه إلى المدح.

وربما أظهر أمرًا حسنًا في الظاهر وأحبَّ المدح عليه، وقصد به في الباطن شرًّا وقصد تمويه ذلك وترويجه على الخلق. وهذا يدخل في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨] الآية(٢)،

=وأوردها من حديث البخاري في الجوائز والصلات ص (٤٤٦) ومن رواية الصحيح في كتاب التوحيد ص (٤٣٨).

(١) ذهب كثير من العلماء إلى كراهة التسمي بـ«قاضي القضاة» وأمثاله، ودليلهم في هذا الباب حديث النهي عن التسمية بـ«ملك الملوك» الذي سبق أن خرجناه. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١٠/ ٥٩٠): واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم «ملك الأملاك» لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه مثل: «خالق الخلق» و«أحكم الحاكمين» و«سلطان السلاطين» و«أمير أمراء». وقيل: يلتحق به أيضًا من تَسَمَّى بشيء من أسماء الله الخاصة به، كـ«الرحمن» و«القدوس» و«الجبار». وهل يلتحق به من تَسَمَّى «قاضي القضاة» أو «حاكم الحكام» اختلف العلماء في ذلك. وقد فَصَّلت الكلام على ذلك في موضع آخر.

(٢) وتمام الآية: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.



فإن هذه الآية إنما نزلت فيمن هذه صفاته[١].

وهذا القصد ـ أعني طلب المدح من الخلق ومحبته، والعقوبة على تركه ـ لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له. ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم، وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق؛ ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك/ لله وحده لا شريك، فإن [ب/١٧٤]
النِّعَمَ كلها منه.

* * *

(١) لينظر: جامع البيان للطبري، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) عند تفسير هذه الآية.



ذكر كلام عمر بن عبدالعزيز

وكان/ عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد العناية بذلك. وكتب مرة إلى أهل الموسم كتابًا يقرأ عليهم، وفيه الأمر بالإحسان إليهم، وإزالة المظالم التي كانت عليهم، وفي الكتاب: «ولا تحمدوا على ذلك كله إلا اللَّه، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري». [٦/أ]

وحكايته مع المرأة التي طلبت منه أن يفرض لبناتها اليتامى مشهورة؛ فإنها كانت لها أربع بنات، ففرض لاثنتين منهن، وهي تحمد اللَّه؛ ثم فرض الثالثة، فشكرته، فقال إنما كنا نفرض لهن حيث كنت تولين الحمد أهله، فَمُرِي[1] هذه الثلاث يواسين الرابعة، أو كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أراد أن يعرف ذا الولاية أنما هو منتصب لتنفيذ أمر اللَّه وأمر العباد بطاعته ـ تَعَالَى ـ، وهو مع ذلك خَائِفٌ من التقصير في حقوق اللَّه ـ تَعَالَى ـ أيضًا.

فالمحبون للَّه غاية مقاصدهم من الخلق أن يحبوا اللَّه ويطيعوه ويفردوه بالعبودية والإلهية، فكيف من يزاحمه في شيء من ذلك، فهو لا يريد من الخلق جزاءً ولا شكورًا، وإنما يرجو ثواب عمله من

(١) ورد من كلام الشيخ عبدالتواب في هامش (أ): «يعني ـ رحمه اللَّه ـ تَعَالَى ـ: وأما إذا شكرتني أنا فلست بأهل أن أشكر وإني أخاف إن فرضت لها أن أدخل في الذين يعطون ليذكروا ويثنى عليهم، فمري الثلاث يقنعن فيما فرض لهن، ويواسين الرابعة بما فضل».



اللَّه، كما قال اللَّه - تَعَالَى -: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

وقال ﷺ: **«لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصارى المسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»**(١).

وكان رسول اللَّه ﷺ ينكر على من يتأدب معه في الخطاب بهذا الأدب، كما قال: **«لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وشَاءَ مُحَمَّدٌ، بَلْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ مَا شَاءَ مُحَمَّدٌ»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء رقم (٣٤٤٥).
والطيالسي في مسنده (منحة المعبود) (٢/ ١١٩) رقم (٢٤٢٤).
والدارمي في سننه (٢/ ٣٢٠). والترمذي في الشمائل.
كلهم من حديث ابن عباس عن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) عن حذيفة رضي الله عنه، وأبو داود بإسناد صحيح، في الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي (٧/ ٢٧٤) رقم (٤٨١٥) كذا في المنذري، وفي أبي داود طبعة الهند (٢/ ٦٨٠) في «باب منه» أي بعد الباب الذي أورده المنذري. وابن ماجه في الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء اللَّه وشئت (١/ ٦٥٠- ٦٥١) والنسائي في اليوم والليلة (تحفة الأشراف) (٣/ ٤٨) رقم (٣٣٧١) كلهم بلفظ «فلان» مكان «محمد».
ورواه أحمد من حديث الطفيل بن سخبرة أخي عائشة (المسند) (٥/ ٧٢). =

وقال[١] لمن قال: ما شاء اللَّه وشئت: «أَجَعَلْتني للَّه نِدًّا، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»[٢].

فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل وأتباعهم وقضاتهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم اللَّه وحده، وإفراده بالعبودية والإلهية.

ومنهم من كان لا يريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى اللَّه وحده.

وكان بعض الصالحين يتولَّى القضاء ويقول: «أَلَا أتولاه لأستعين به على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ولهذه كانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى اللَّه، ويتحمَّلون في أوامر اللَّه من الخلق غاية المشقَّة، وهم صابرون، بل راضون بذلك؛ فإن المحبَّ ربما يتلذَّذ بما يصيبه من الأذى في رضى محبوبه.

= وعنه أيضًا الدارمي في سننه في الاستئذان، باب في النهي عن أن يقول: «ما شاء اللَّه وشاء فلان» (٢/ ٢٩٥). ورواه النسائي عن قتيلة الجهنية، في الأيمان والنذور من المجتبى، باب الحلف بالكعبة (٢/١٣٣ / رقم ٣٨٠٤
وفي اليوم والليلة من الكبرى، أبواب الجاهلية، باب النهي أن يقال: ما شاء اللَّه وشاء فلان (تحفة الأشراف) (١٢/ ٤٧٦) رقم (١٨٠٤٦).

(١) الواو سقطت في (ب).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣).



قول عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز لأبيه

كما كان عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول لأبيه في خلافته إذا حرص على تنفيذ الحق وإقامة العدل: يا أبت لوددت أني غَلَت بي وبك القدر في الله عَزَّوَجَلَّ(١).

وقال بعض الصالحين: «وددت أن جسمي قُرِضَ بالمَقَارِيضِ، وأن هذا الخلق كلهم أطاعوا اللَّه عَزَّوَجَلَّ».

فعرض قوله على بعض المتقدمين، فقال: «إن كان أراد بذلك النصيحة للخلق وإلا فلا أدري»؛ ثم غشي عليه.

[ب/١٧٥] ومعنى هذا أن صاحب/ هذا القول قد يكون لحظ نصح الخلق، والشفقة عليهم من عذاب اللَّه؛ وأحب أن يعذبهم من عذاب اللَّه بأذى نفسه. وقد يكون لحظ جلال اللَّه وعظمته وما يستحقه من الإجلال والإكرام، والطاعة والمحبة، فودَّ أن الخلق قاموا بذلك وإن حصل له في نفسه غاية الضرر.

والبخاري في الأدب المفرد، باب قول الرجل: ما شاء اللَّه وشئت ص (٢٦٥) رقم (٧٨٤).

وابن ماجه في الكفارات، باب النهي عن أن يقال: ما شاء اللَّه وشئت (١/ ٦٥٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة كما في تحفة الأشراف للمزي. كلهم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة عن جابر أيضًا (تحفة الأشراف).

(١) العقد الفريد (١/ ٤٠) بأبسط من هذا.



وهذا هو مشهد خواص المحبين العارفين بملاحظته، فغشي على هذا الرجل العارف. وقد وصف اللَّه ـ تَعَالَى ـ في كتابه أن المحبين له يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم(١).

وفي ذلك يقول بعضهم [من الكامل]:

أَجِدُ المَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ(٢)

❏ القسم الثاني من طلب الشرف والعلو

القسم الثاني: طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد. فهذا أفحش من الأول وأقبح، وأشدّ فسادًا وخطرًا؛ فإن العلم و/ العمل والزهد إنما يطلب به ما عند اللَّه من [٨/أ]
الدرجات العُلى، والنعيم المقيم، ويطلب به ما عند اللَّه، والقرب منه،

---

(١) وذلك قوله ـ تعالَى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

(٢) جامع العلوم والحكم ص (٣١٧)، وفيه قبل البيت:

وَقَفَ الهوى بي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لي ... مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ

والبيتان لأبي الشيص محمد بن رزين بن سليمان الخزاعي، عم دعبل بن علي الخزاعي لينظر: ديوانه ص (٩٣)، الأغاني (١٥/ ١١٠) بولاق، الشعر والشعراء، ص(٥٣٥)، شرح الحماسة للمرزوقي (١٣٧٣)، معاهد التنصيص (٤/ ٨٥) وما بعدها، تقريب المعاهد (ق١٦٠/ب) وما بعدها، الإيضاح ص (٤١٣)، العقد الفريد (٥/ ٣٧٤).



والزُّلْفَى لديه.

قال الثوري: «إنما فُضِّلَ العلم لأنه يتقي به الله، وإلا كان كسائر الأشياء».

فإذا طلب بشيء من هذا عرض الدنيا الفاني، فهو أيضًا نوعان:

أحدهما: أن يطلب به المال؛ فهذا نوع من الحرص على المال، وطلبه بالأسباب المحرَّمة. وفي هذا الحديث عن النبي ﷺ: **«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** يعني ريحها.

خَرَّجه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حِبَّان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ[1].

وسبب هذا ـ والله أعلم ـ أن في الدنيا جَنَّةٌ مُعَجَّلَةٌ، وهي معرفة الله ومحبته، والأنس به، والشوق إلى لقائه، وخشيته، وطاعته؛ والعلم النافع يدل على ذلك. فمن دلَّه علمه على دخول هذه الجنَّة المعجَّلة في الدنيا دخل الجنَّة في الآخرة، ومن لم يشمّ رائحتها لم يشمّ رائحة

(١) الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٨)، وأبو داود رقم (٣٦٦٤) وصححه النووي في رياض الصالحين (كتاب العلم) رقم (١٣٨٩) وفي الرياء (١٦١٨)، وقال العراقي: إسناده جيد (المغني) (١/ ٦١) وابن ماجه في المقدمة.
وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٨٥)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١/ ١٩٠)، والخطيب في اقتضاء العلم العمل ص(١٩٤) رقم (١٠٢).

الجنة في الآخرة. ولهذا كان «**أَشَدّ النَّاسِ عَذَابًا فِي الآخِرَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ**»(١). وهو أشد الناس حسرة يوم القيامة؛ حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، فلم يستعملها إلا في التوصل إلى أخسّ الأمور وأدناها وأحقرها؛ فهو كمن كان معه جواهر نفيسة، لها قيمة، فباعها ببعرةٍ أو شيءٍ مستقذرٍ لا ينتفع به؛ فهذا حال من يطلب الدنيا بعلمه. وأقبح من ذلك من يطلبها بإظهار الزهد فيها، فإن ذلك خداعٌ قبيحٌ جدًا.

وكان أبو سليمان الداراني(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعيب على من لبس عباءة، وفي قلبه شهوة من شهوات الدنيا تساوي أكثر من قيمة العباءة.

يشير إلى أن إظهار الزهد فيها باللباس الديني إنما يصلح لمن فرغ قلبه من التعلُّق بها بحيث لا يتعلَّق قلبه بها بأكثر من قيمة ما لبسه في الظاهر، حتى يستوي ظاهره وباطنه في الفراغ/ من الدنيا. [ب/١٧٦]

[ذكر كلام بعض العارفين]

وما أحسن قول بعض العارفين وقد سئل عن الصوفي، فقال:

---

(١) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف، وقد سبق تخريجه.

(٢) في هامش (أ): هو عبدالرحمن بن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بني عبس، مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٢١٥هـ)، كان يقول: من صارع الدنيا صرعته، وإذا سكنت في قلب ترحلت الآخرة منه. وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فعليك بالجوع ثم اسألها، وذلك لأن الأكل يغير العقل (طبقات شعراني).

«الصُوفِيُّ مَنْ لَبِسَ الصوفَ عَلى الصَفَا، وسَلَكَ طَرِيقَ المصْطَفَى، وأَذَاقَ الهَوىَ بَعْدَ الجفَا، وَكَانَتِ الدُنْيَا مِنْهُ خَلْفَ القَضَا».

النوع الثاني: من يطلب بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق، والتعاظم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعون له، ويصرفون وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء ليعلو[1] به عليهم ونحو ذلك؛ فهذا موعده النار؛ لأن قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان.

وفي السنن عن النبي ﷺ: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُفَهَاءَ، أَوْ يُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ».

خرَّجه الإمام أحمد والترمذي من حديث كعب بن مالك[2] [رضي الله عنه].

وخرَّجه ابن ماجه من حديث ابن عمر[3] رضي الله عنه، وحذيفة[4] رضي الله عنه، وعنده: «فهو في النار».

وخرَّج ابن ماجه وابن حِبَّان في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه

---

(١) (أ): «ليعلوا».

(٢) أحمد في مسنده والترمذي (٣/ ٣٧١).

قلت: إسحاق بن يحيى ضعيف من الخامسة (تقريب التهذيب). وقال البخاري: يتكلمون في حفظه، يكتب حديثه (الضعفاء الصغير) ص (٢٥٣).

(٣) سنن ابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (١/ ١١١، ١١٣).

(٤) أيضًا في الباب (١/ ١١٣ - ١١٤).



عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَعَلَّمُوا العِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ العُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا لِتَخَيرُوا بِهِ المَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ فَالنَّارَ**»(١).

وخَرّج ابن عديّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه، وزاد فيه: «**وَلَكِنْ تَعَلَّمُوه لِوَجْهِ اللَّهِ وَالدَّارِ الآخِرةِ**»(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا تعلموا العلم لثلاث: لتماروا به السفهاء، أو لتجادلوا به الفقهاء، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند اللَّه، فإنه يبقى، ويفنى ما سواه»(٣).

والخطيب في اقتضاء العلم العمل ص (١٩٣/ ١٠٠).

قال الشيخ ناصر الدين الألباني: إسناده ضعيف جدا. آفته الدارسي هذا ـ وهو: بشر ابن عبدالدارسي ـ قال ابن عدي: منكر الحديث عن الأئمة، بيّن الضعف جدًّا. وكذبه الأزدي.

(١) ابن ماجه في السنن (١/ ١١١) وابن حبان في صحيحه.

وابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١/ ١٨٧) كلهم من طريق أبي الزبير عن جابر، وأبو الزبير مدلس لا يحتج به إذا عنعن، ومع ذلك فقد قال العراقي: أخرجه ابن ماجه عن جابر بإسناد صحيح (المغني عن حمل الأسفار) (١/ ٥٩).

(٢) رواه ابن عدي في الكامل ورواه ابن ماجه في المقدمة (١/ ١٠٤) قال في الزوائد: إسناد ضعيف (مصباح الزجاجة).

(٣) لم أجد من خرجه بهذا اللفظ.

وأخرجه الدارمي عنه في العلم، باب العمل بالعلم وحسن النية فيه (١/ ٨٠). وروى أيضًا في باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير اللَّه (١/ ١٠٣) عن ابن مسعود أنه قال: «من طلب العلم لأربع دخل النار ـ أو نحو هذه الكلمة ـ: ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أو ليأخذ به من الأمراء».



[٨/أ] وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم / قال: «إِنَّ أَوَّلَ الخَلْقِ تُسَعَّرُ بِهِمْ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: مِنْهُمْ العَالِمُ الَّذِي قَرَأَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ. وَتَعَلَّمَ العِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ: قَدْ قِيلَ ذَلِكَ؛ وَأُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(١).

وذكر مثل ذلك في المتصدِّق، ليقال: إنه جَوَّاد. وفي المجاهد، ليقال: إنه شُجَاع(٢).

[ذكر كلام علي رضي الله عنه]

وعن علي رضي الله عنه قال: «يَا حَمَلَةَ العِلْمِ(٣) اعملوا به، فإنما العَالِمُ مَن

---

(١) مسلم في الجهاد، باب من قاتل للرياء والسمعة دخل النار، والحديث ليس بهذا اللفظ. وأورده المؤلِّف في «فضل علم السلف» ص (٨٠) بتحقيقي. فليراجع هناك مع تعليقي عليه.

(٢) رواه مسلم في الجهاد، الباب المذكور.
والنسائي في المجتبى في الجهاد، باب من قاتل ليقال: فلان جريء (٢/ ٥٠) رقم (٣١٣٩) وفي الكبرى أيضًا في فضائل القرآن (٥٨) (تحفة الأشراف) (١٠/ ١٠٧) رقم (١٣٤٨٢).
وابن عبدالبر في جامع بيان العلم، باب ما جاء في مسائلة الله العلماء يوم القيامة (٢/ ٢-٣).
والخطيب في اقتضاء العلم العمل، باب ما جاء من الوعيد والتهديد لمن قرأ القرآن.. إلخ ص(١٩٧) رقم (١٠٧) كلهم من طريق ابن جريج عن يونس بن يوسف عن سليمان بن يسار.

(٣) النووي: «يا حملة القرآن أو قال: يا حملة العلم».



عَمِلَ بمَا عَلِمَ فوافق عَمَلُهُ عِلْمَه(١)، وسيكون أقوام(٢) يَحْمِلُون العِلمَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهِمْ، يُخَالِفُ عِلمُهُم عَمَلَهُم(٣)، ويخالف سريرتُهم علانيتَهم، يَجْلِسُون حِلَقًا حلقا(٤)، فيباهي(٥) بعضهم بعضًا، حتى إنَّ الرجلَ ليغضب عَلَى(٦) جليسهِ إِذَا جَلَسَ(٧) إلى غَيْرِه وَيَدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم(٨) في مجالسهم تلك إلى اللَّه عَجَّلَ»(٩)(١٠).

(١) الدارمي: «من عمل مما علم فوافق علمه عمله». الجامع: «من علم ثم عمل ووافق علمه عمله». الخطيب: «بما علم - علمه» ليس عنده هذا الحرف.

(٢) الخطيب: «قوم».

(٣) الدارمي: «يخالف عملهم علمهم وتخالف». والجامع: «تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم».

(٤) الدارمي: «حلقا» فقط. والجامع: «يعقدون حلقا» - بدون تكرار عندهما.

(٥) الخطيب: «يباهي» - بدون الفاء، وكذا النووي عن الدارمي.

(٦) الدارمي: «ليعضب» - بالعين المهملة.

(٧) الدارمي والجامع والخطيب: «أن يجلس».

(٨) الخطيب: «أولئك لا تصعد أعمالهم إلى السماء».

(٩) عَجَّلَ لم يرد في الدارمي.

(١٠) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (٢/ ٧).

وأخرجه الدارمي في العلم (١/ ١٠٦)، وعنه النووي في التبيان في آداب حملة القرآن ص (١٧).

والخطيب في اقتضاء العلم العمل، في المقدمة ص (١٦٣ - ١٦٤) رقم (٩)، كلاهما عن طريق ثوير بن أبي فاختة عن يحيى بن جعدة عن علي.

قال الناسخ: إسناده موقوف منقطع. و«ثوير» ابن أبي فاختة ضعيف. ومعنى الأثر صحيح واضح، ويكاد أن يكون في حكم المرفوع.



وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: **«لا يكون حظ أحدكم من علمه أن يقال: عالم»**.

وفي بعض الآثار أن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: **«كيف يكون من أهل العلم من يطلب العلم ليحدِّث به، ولا يطلبه ليعمل به»**.

وقال بعض السلف: «بلغنا أن الذي يطلب الأحاديث/ ليحدِّث بها، لا يجد ريح الجنة»(١). يعني من ليس له غرض في طلبها إلا أن يحدث بها دون العمل بها. [ب/١٧٧]

[ذكر كراهة الفتيا والجرأة والحرص عليها والمسارعة إليها]

ومن هذا القبيل كراهة السلف الصالح الجُرْأة على الفُتْيَا، والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها.

وروى ابن لهيعة عن عبدالله بن جعفر مرسلًا عن النبي ﷺ قال: **«أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الفُتْيَا أَجْرَؤُكُم عَلَى النَّارِ»**(٢).

وقال علقمة: كانوا يقولون: «أجرؤكم على الفتيا أقلكم علمًا»(٣).

(١) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل ص (٢٠٥) رقم (١٢٥).

(٢) رواه الدارمي عن عبيد الله بن أبي جعفر مرسلا (سننه في العلم، باب الفتيا وما فيه من الشدة) (١/ ٥٧)، (والآداب الشرعية) (٢/ ٦٧).

(٣) يروى هذا من قول سفيان بن عيينة (جامع بيان العلم) (٢/ ٤٦، ١٦٥) وسحنون ابن سعيد (أيضًا ٢/ ١٦٥) وعنهما معًا في صفة الفتوى ص (٨) والآداب الشرعية (٢/ ٧٠) ولفظه: أجسرهم...». =



وعن البراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة، ما منهم رجل إلا ودّ أن أخاه كفاه».

وفي رواية: «فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول»(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون»(٢).

وسئل عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسألةٍ فقال: «ما أنا على الفُتْيا بجريء»(٣).

= ورواه الدارمي في العلم، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١/ ٥٣).
ورواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٦٣) عن طريق سفيان عن عطاء عنه.

(١) رواية «حتى يرجع إلى الأول» رواه الدارمي (١/ ٥٣) عن داود لصاحبه: أفتهم، فلا يزال حتى يرجع إلى الأول.
أما كونه من حديث عبدالرحمن فقد ذكره ابن حمدان (صفة الفتوى) ص (٧) وللقنوجي (ذخر المحتى) ص (٥٣).

(٢) رواه الدارمي في العلم، باب .. (١/ ٦١)، وأبو خيثمة في كتاب العلم ص (١١١) رقم (١٠) وابن عبدالبر في جامع بيان العلم عن طرق متعددة عنه (٢/ ١٦٤- ١٦٥)، والآداب الشرعية (٢/ ٦٦).
ورواه ابن عبدالبر من حديث ابن عباس في الجامع (٢/ ١٦٤) وابن حمدان في صفة الفتوى ص (٧).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ترجمته.



لا يليق الفتوى لمن وجد من يكفيه

وكتب إلى بعض عماله: إني والله ما أنا بحريصٍ على الفُتْيَا ما وجدت منه بُدًّا، وليس هذا الأمر لمن وَدَّ أن الناس احتاجوا إليه، إنما هذا الأمر لمن ود أنه وجد من يكفيه.

وعنه أنه قال: «أعلم الناس بالفتاوى أسكنهم، وأجهلهم بها أنطقهم»(١).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: أدركنا الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بُدًّا من أن يفتوا، وإذا أعفوا منها كان أحب إليهم(٢).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من عَرَّضَ نفسه للفتيا فقد عَرَّضَهَا لأمرٍ عظيم، إلا أنه قد تلجئ إليه الضرورة».

قيل: له: فأيما أفضل: الكلام أم السكوت؟.

قال: «الإمساك أحبّ إليَّ» قيل له: فإذا كانت الضرورة؟ فجعل يقول: «الضرورة الضرورة». وقال: «الإمساك أسلم له»(٣).

وليعلم المفتي أنه يُوَقِّع عن الله أمره ونهيه، وأنه موقوفٌ ومسئولٌ

---

(١) في هامش (أ): أي جعل ينتقد فتاواه ليعرفه أنه يجب عليه أن ينظر في الأمور نظرا غائرا ثم يفتي.

(٢) صفة الفتوى والمفتي ص (١٢).

(٣) ذخر المحتي ص (٥٣) إلى قوله: قد تلجئ الضرورة.



عن ذلك[١].

قال الربيع بن خيثم: «أيها المفتون: انظروا كيف تفتون».

وقال عمرو بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما جلس للفتيا: هذا يصلح، وهذا لا يصلح».

وعن ابن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «إن العَالِمَ بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل عليهم»[٢].

وكان ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا سُئِلَ عن الشيء من الحلال والحرام تَغَيَّرَ لونه وتَبَدَّلَ حتى كأنه ليس بالذي كان.

وكان النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول: ما وجدت أحدا تسأله غيري»[٣].

وقال: «قد تكلمت ولو وجدت بُدًّا ما تكلمت، وإن زمانًا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء»[٤].

وعن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إنكم لتستفتوننا استفتاء نودُّ كأنَّا لا نُسأل عما نفتيكم به».

---

(١) قال ابن القيم: «وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسئول غدا وموقوف بين يدي الله» (إعلام الموقعين) ص (٧ - ٨).

(٢) رواه الدارمي في العلم، باب من هاب الفتيا (١/ ٥٣) الآداب الشرعية (٢/ ٧٠).

(٣) رواه أبو خيثمة في كتاب العلم ص (١٤٠) رقم (١٣١) والدارمي إلى: «الكراهة» (/٥٢).

(٤) رواه الدارمي في العلم، باب تغير الزمان وما يحدث فيه (١/ ٦٦).

وعن محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «أَوَّلُ من يُدْعَى إلى الحساب الفقهاء».

وعن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان إذا سُئِلَ عن المسألة كأنه واقف بين الجنَّة والنَّار(١).

وقال بعض العلماء لبعض المفتيين: «إذا سئلت عن مسألةٍ فلا يكن [أ/٩] هَمّك تخليص السائل،/ ولكن تخليص نفسك أولًا».

وقال الآخر: «إذا سُئِلْتَ عن مسألة فتفكَّر، فإن وجدت لنفسك مخرجًا فتكلم وَإِلَّا فاسكت».

وكلام السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في هذا المعنى كثير جدًا، ويطول ذكره [ب/١٧٨] واستقصاءه/.

* * *

(١) صفة الفتوى والمفتي ص (٩)، وذخر المحتي ص (٥٣).



التقرب من الملوك والأمراء

ومن هذا الباب أيضًا: كراهة الدخول على الملوك، والدُّنو منهم، وهو الباب الذي يدخل منه علماء الدنيا إلى نيل الشرف والرياسات فيها.

وخَرَّج الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ»**[(١)].

وخَـرَّج أحمـد وأبو داود نحوه[(٢)] من حديث أبي هريرة ﵁ عن

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٥٧)، سنن أبي داود: الضحايا، باب في اتباع الصيد (٤/ ١٤١) رقم (٢٧٤١).

وفي تحفة الأشراف (٥/: ٢٦) ما يشير أنه أخرجه في كتاب الصيد وذلك بناء على اختلاف نسخ السنن، فإنه لم يفرق بعضهم بين الضحايا والصيد.

وسنن الترمذي: الفتن، باب.. (٣/ ٢٤٣ - ٢٤٤). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس، لا نعرفه إلا من حديث الثوري.

وقال العراقي: أخرجه... الترمذي وحسنه (المغني عن حمل الأسفار) (١/ ٦٨) كلهم من طريق سفيان، عن أبي موسى، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس. قال الحافظ في التقريب ص (٢٦٨) ط (الهند) أبو موسى عن وهب بن منبه مجهول من السادسة، ووهم من قال: إنه اسرائيل بن موسى، وقال في تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٥٢) أبو موسى شيخ يماني، روى عن ابن منبه، عن ابن عباس. حديث: «من اتبع الصيد غفل». وعن سفيان الثوري، مجهول. قاله ابن القطان.

(٢) (أ): «ونحوه».



النبي ﷺ، وفي حديثه: وَمَا ازْدَادَ أَحَدٌ مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا ازداد مِنَ اللَّهِ بُعْدًا»(١).

وخرّج ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: **«إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ، وَيَقْرَءُونَ القُرْآنَ وَيَقُولُونَ: نَأْتِي الأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنا - وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ - كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ القَتَادِ إِلَّا الشَّوكُ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الخَطَايَا»**(٢).

وخرّجه الطبراني ولفظه: **«إِنَّ أُناسًا مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، وَيَتَعَمَّقُونَ**(٣) **فِي الدِّينِ، يَأْتِيهِمُ الشَّيْطَانُ يَقُولُ: لَو أَتَيْتُمُ المُلوكَ فَأَصَبْتُمْ**

(١) أحمد في مسنده (١/ ٣٥٧).
أبو داود، الضحايا، باب في اتباع الصيد (تحفة الأشراف) (١١/ ١٠٣) رقم (١٥٤٩٥).
وقال الترمذي: «وفي الباب عن أبي هريرة» (٣/ ٢٤٣- ٢٤٤). يريد هذا الحديث، وقد سبق الحكم على هذا الحديث.
(٢) ابن ماجه، المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (١/ ١١٢) وفيه: «كذلك لا يجتنى من قربهم إلا.....».
والحديث اختلفوا في صحته وضعفه، ففي ضعيف الجامع (٢/ ١٤٣) رقم (١٨١٨) ضعيف، وكذا في تخريج أحاديث المشكاة للألباني رقم (٢٦٢)، وقال الألباني في هامش ضعيف الجامع: لكن الشطر الأول صحيح من حديث أنس وغيره (انظر صحيح الجامع) رقم (٨٨١، ٩٠٨) وفي زوائد ابن ماجه (مصباح الزجاجة): إسناده ضعيف، وعبيدالله بن أبي بردة عن ابن عباس.
(٣) في هامش (أ): التعمق. هو: المبالغة في الأمر والطلب لأقصى غاية.



مِنْ دُنْيَاهم واعتزلتموهم بدينكم ـ ألا ولا يكون ذلك ـ كما لا يجتنى من القتاد إِلَّا الشَّوكُ، كذلك لا يجتنى من قُربهم إلا الخطايا»(١).

وخرَّج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الحَزَنِ**». قَالُوا: وَمَا جُبُّ الحَزَنِ؟ قَالَ: «**وَادٍ في جَهَنَّمْ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مائة مَرَّةٍ**»(٢). قيل: يا رسول اللَّه: مَنْ يدخله؟ قال: القُرَّاءُ المراءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ»(٣).

وخرَّج ابن ماجه نحوه(٤)، وزاد فيه: «**وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ القُرَّاءِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَزُورُونَ الأُمَرَاءَ الجَوَرَةَ**».

ويروى من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه.

ومن أعظم ما يخشى على من يدخل على الملوك الظلمة أن يصدقهم بكذبهم، ويعينهم على ظلمهم ولو بالسكوت عن الإنكار

---

(١) لعله في المعجم الكبير له.

(٢) ابن ماجه: «أربع مئة مرة».

(٣) سنن الترمذي: الزهد، باب. (٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) قال الترمذي: هذا حديث غريب. قلت: في إسناده عمَّار بن سيف الضبي، عن أبي معان البصري، عن ابن سيرين عنه. وعمَّار بن سيف ضعيف، قال البخاري: منكر، ذاهب (التأريخ الصغير) ص (٢٠٤).

(٤) سنن ابن ماجه: المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (١/ ١١٢ـ ١١٣) من طرق عن عمار عن أبي معان عن ابن سيرين. وقال في إحداها: قال عمار: لا أدري ابن سيرين محمد أو أنس.



عليهم، فإن من يريد بدخوله عليهم الشَّرف والرياسة وهو حريص عليهما لا يقدم على الإنكار عليهم، بل ربما حَسَّنَ لهم بعض أفعالهم القبيحة تَقَرُّبًا إليهم لِيُحَسِّن موقفه عندهم، ويساعدون على غرضه.

وقد خَرَّج الإمام أحمد، والترمذي والنسائي وابن حِبَّان في صحيحه من حديث كَعْب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْه، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُو مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عليَّ الحوض[1]»**.

وخَرَّج الإمام أحمد معنى هذا الحديث من حديث حذيفة[2]،

(١) أحمد في مسنده (٣/ ٣٢١)، (٤/ ٢٤٣)، والترمذي من الفتن في سننه، باب (٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) وقال: هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه من حديث مسعر إلَّا من هذا الوجه، أي هارون بن إسحاق الهمداني عن محمد بن عبدالوهاب عن مسعر عن أبي حصين عن الشعبي عن عاصم العدوي عنه. قال هارون: وحدثني محمد بن عبدالوهاب عن سفيان عن أبي حصين عن الشعبي عن عاصم العدوي عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ نحوه.
قال هارون: وحدثني محمد عن سفيان عن زبيد عن إبراهيم وليس بالنخعي، عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ نحو حديث مسعر .
والمجتبى للنسائي (٢/ ١٨٧) وابن حِبَّان برقم (١٥٧٢ـ ١٥٧٣) وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

(٢) أحمد في مسنده (٥/ ٣٨٤) والفتح الرباني (٢٣/ ٢٧) وقال الترمذي: وفي الباب عن حذيفة (٣/ ٢٤٥) قلت: روى ابن عبدالبر بإسناده عن حذيفة=



وابن عمر(١)، وخَبَّاب بن الأرتّ(٢)، وأبي سعيد الخدري(٣)، والنُّعْمَان بن بشير(٤) ﷺ.

وقد كان كثيرٌ من السَّلف ينهون عن الدخول على الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضًا(٥). وممن نَهَى عن ذلك: عمر بن عبدالعزيز/ وابن المبارك والثوريّ وغيرهم من الأئمة - رحمهم [ب/١٧٩] الله -(٦).

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس الآمر النَّاهي عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم، إنَّمَا الآمر الناهي من اعتزلهم».

وسبب هذا ما يخشى من فتنة الدخول عليهم، فإنَّ النَّفْسَ قد تخيّل للإنسان إذا كان بعيدًا عنهم أنه يأمرهم، وينهاهم، ويغلظ

=موقوفًا عليه أنه قال: «إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن، يا أبا عبدالله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول له ما ليس فيه» جامع بيان العلم، باب ذمّ العالم على مداخلة السلطان الظالم ص(١٦٧).

(١) أحمد في مسنده (الفتح الرباني) (٢٣/ ٢٩) وقال الترمذي: وفي الباب عن ... وابن عمر (٣/ ٤٥٢).

(٢) أحمد في مسنده (الفتح الرباني) (٢٣/ ٣٥).

(٣) أيضًا (الفتح الرباني) (٢٣/ ٢٩).

(٤) أيضًا (الفتح الرباني) (٢٣/ ٢٧ - ٢٨).

(٥) ابن عبدالبر.

(٦) في (أ) رمز الترحم.



عليهم، فإذا شاهدهم قريبًا مالت النفس إليهم، لأن محبَّةَ الشَّرف كامنٌ في النفس له، ولذلك يداهنهم، ويلاطفهم،/ وربما مال إليهم وأَحَبَّهم، ولا سِيَّما إن لاطفوه وأكرموه وقبل ذلك منهم. [١٠/أ]

وقد جرى ذلك لابن طاؤس[١] رَحِمَهُ اللهُ مع بعض الأمراء بحضرة أبيه طاؤس رَحِمَهُ اللهُ، فوبَّخه طاؤس رَحِمَهُ اللهُ على فعله ذلك.

وكتب سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ إلى عباد بن عباد رَحِمَهُ اللهُ وكان في كتابه: «إيَّاك والأمراء أن تدنو منهم، أو تخالطهم في شَيءٍ من الأشياء وَإيَّاك أن تخدع، ويقال لك: لتشفع وتدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فُجَّار القرَّاء سلمًا. وما كفيت عن المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم. وَإيَّاك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله، أو ينشر قوله، أو يسمع قوله، فإذا ترك ذلك منه عرف فيه. وإيَّاك وحبَّ الرياسة، فإن الرجل يكون حب الرياسة أحبّ إليه من الذَّهب والفِضَّة. وهو بابٌ غَامِضٌ لا يبصره إلا البصير من العلماءِ السماسرةِ[٢] فتفقَّد بقلبٍ، واعمل بنيَّة، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت ـ والسلام».

* * *

(١) عبدالله بن طاووس بن كيسان اليماني.

(٢) في هامش (أ): أي الحذاق والمبتصرين في الأمور (تاج العروس) قلت: وكذا لسان العرب «سمسر».



كراهة اتخاذ أسباب السُّمعة والتشهير

ومن هذا الباب أيضًا: كراهة أن يشهر الإنسان نفسه بالعلم والزهد والدين، أو بإظهار الأعمال والأقوال والكرامات، ليزار وتلتمس بركته ودعاءه، وتقبَّل يده، وهو محبٌّ لذلك، ويقيم عليه، ويفرح به، ويسعى في أسبابه.

ومن هذا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة. منهم: أيوب والنخعي، وسفيان، وأحمد، وغيرهم من العلماء الربانيين. وكذلك الفضيل، وداود الطائي، وغيرهما من الزُّهاد والعارفين - رحمهم اللَّه -، وكانوا يذمُّون أنفسهم غاية الذمِّ، ويسترون أعمالهم غاية الستر.

دخل رجل على داود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسأله ما جاء به؟

فقال: أحب أن أزورك، فقال: أما أنت فقد أصبت خيرًا حيث زرت في اللَّه، ولكن انظر ماذا لقيت غدًا إذا قيل لي: من أنت حتى تزار، مِنْ الزُّهاد أنت؟ لَا واللَّه مِنَ العباد أنت؟ لَا واللَّه. مِنَ الصالحين أنت؟ لَا واللَّه، وعَدَّدَ خصال الخير على هذا الوجه، فجعل يُوَبِّخ نفسه ويقول: يا داود: كُنْتَ في الشبيبة فاسقًا، فلما شبت صرت مُرائيًا، والمرائي أشرُّ من الفاسق.

وكان محمد بن واسع يقول: لو أَنَّ للذنوب رائحةً ما استطاع



أحدٌ أَنْ يُجَالِسَني(١).

وكان إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ إذا دخل عليه أحدٌ وهو يقرأ المصحف غَطَّاه.

وكان أويس رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من الزهاد إذا عُرِفُوا في مكان ارتحلوا عنه.

وكان كثير من السلف يكره أن يُطْلَبَ منه الدُّعَاء، ويقول لمن يسأله الدعاء: أ ي شيءٍ أنا؟. وممن روى عنه ذلك: عمر بن الخطاب وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢)، وكذلك مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

وكان النَّخعي يكره أن يُسأل الدعاء. «وكتب رجل إلى أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يَسأله الدعاء، فقال: «**إِذَا دَعَونَا نَحْنُ لِهَذَا فَمَنْ يَدْعُو لَنَا**».

[ب/١٨٠] ووصف بعض الصالحين واجتهاده في العبادة لبعض / الملوك، فعزم على زيارته فبلغه ذلك، فجلس على قارعة الطريق يأكل، فوافاه الملك وهو على تلك الحالة، فسلَّم عليه فردَّ عليه، وجعل يأكل أكلًا كثيرًا ولا يلتفت إلى الملك، فقال: ما في هذا خير، ورجع، فقال الرجل: «**الحمدُ للَّه الَّذِي رَدَّ هَذَا عَنِّي وهو لَائِمٌ**». وهذا باب واسعٌ

---

(١) قال الماوردي: وقال بعض الحكماء. لو كان للخطايا ريح لافتضح الناس ولم يتجالسوا (أدب الدنيا والدين، باب أدب الدين) ص (١٠٨).

(٢) كذا في (ب)، وف (أ) علامة (رض) على الاسمين.

(٣) كذا في (ب)، ورمز له في (أ).



جدًا.

❑ نُكَتَةٌ دَقِيقَةٌ:

وهنا نكتة دقيقة وهي أَنَّ الإنسان قد يذمّ نفسه بين الناس يريد بذلك أن يرى أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نَبَّهَ عليه السلف الصالح:

قَالَ: مُطَّرِف بن عبدالله بن الشِّخِّيْر: كَفَى بالنفس إطراءً أن تذمَّها عَلَى المَلأِ كأنك تريد بذمِّها زينها(١)، وذلك عند اللَّه سَفَهٌ.

* * *

(١) (ب): «زينتها».



فصل

وقد تبين بما ذكرنا أن حب المال والرياسة، والحرص عليها يفسد دين المرء حتى لا يبقى منه إلا ما شاء اللَّه، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

وأصل محبة المال والشرف حب الدنيا، وأصل حب الدنيا اتباع الهوى.

[١١/أ] قال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ/ «**من اتِّباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم**».

وهذا كلامٌ حَسَنٌ، فإنه إنما عتب على صاحب المال والشرف الرغبة في الدنيا، وإنما تحصل الرغبة في الدنيا من اتِّباع الهوى، لأن الهوى دَاعٍ إلى الرغبة في الدنيا، وحب المال والشرف فيها. والتقوى تمنع من اتِّباعِ الهوى، وتردع من حبِّ الدُّنْيَا. قال اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١].

وقد وصف اللَّه ـ تَعَالَى ـ أهل النار بالمال والسلطان في مواضع من كتابه، فقال ـ تَعَالَى ـ:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ



مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٥- ٢٩].

استحباب التنافس في العلو الدائم

واعلم أن النَّفس تحب الرِفْعَة والعلو على أبناء جنسها، ومن هذا نَشَأَ الكِبْرُ والحسد، ولكن العاقل ينافس في العُلوِّ الدائم الباقي الذي فيه رضوان اللَّه وقربه وجواره، ويرغب عن العلو الفاني الزائل الذي يعقبه غضب اللَّه وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبُعْده عن اللَّه وطرده عنه؛ فهذا العُلوُّ الفاني الذي يُذمّ، وهو العُتُوُّ والتكبُّرُ في الأرض بغير الحق.

وأما العُلوُّ الأول والحرص عليه فهو محمود، قال اللَّه - تَعَالَى -: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا رأيتَ الرَّجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة.

وقال وهيب بن الورد رَحِمَهُ اللَّهُ: إن استطعت أن لا يسبقك إلى اللَّه أحد فافعل.

وقال محمد بن يوسف الأصبهاني العابد رَحِمَهُ اللَّهُ: لو أن رجلًا سمع برجلٍ، أو عرف رجلًا أطوع للَّه منه فانصدع قلبه لم يكن ذلك بعَجَب.

وقال رجل لمالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: رأيت في المنام مناديًا ينادي: أَيُّهَا الناس: الرحيل الرحيل، فما رأيتُ أحدًا ارتحل إلَّا محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فصاح مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وغُشِيَ عليه.



ففي درجات الآخرة الباقية يشرع التنافس وطلب العلو في منازلها، والحرص على ذلك، والسعي في أسبابه، وأن/ لا يقنع [ب/١٨١] الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلو.

ذكر أسباب الزهد في العلو الفاني

وأما العلو الفاني المنقطع الذي يعقب صاحبه غدًا حسرةً وندامةً وذلَّةً وهوانًا وصَغَارًا، فهو الذي يشرع الزهد فيه والإعراض عنه. وللزهد فيه أسباب عديدة؛ فمنها: نظر العبد إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والإمارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة؛ فينظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمكذِّبين ومن ينازع اللَّه رداء الكبرياء

وفي السنن عن النبي ﷺ قال: **«يُحْشَرُ المتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ[(١)]، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: «بَوْلَس»[(٢)]، يَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ[(٣)]، يُسْقَونَ**

---

(١) «أمثال الذر» أي: في الصغر والحقارة «في صور الرجال» أي: من جهة وجوههم، أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة. والذر: النمل الأحمر الصغير، واحدها: ذرة. قال ثعلب: إن مائة منها وزن حبة من شعير، فكأنها جزء من مئة (النهاية واللسان [ذرر]).

(٢) «بولس» بفتح وسكون ثم فتح (مجمع بحار الأنوار) أو بضم الباء وفتح اللام (القاموس المحيط) وقال المنذري: بضم الموحدة وسكون الواو وفتح اللام ص (٥٢٧) سجن في جهنم.

(٣) «نار الأنيار» قال في النهاية (لابن الأثير): «لم أجده مشروحًا، ولكن هكذا يروى فإن صحت الرواية فيحتمل أن يكون معناه: نار النيران، فجمع «النار» على=



مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ: «طِينةَ الخبالِ»(١). وخَرَّجه الترمذي وغيره من حديث عمرو ابن شعيب رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ(٢).

=«أنيار» وأصلها «أنوار» لأنها من الواو، كما جاء في ريح وعيد، أرياح وأعياد وهما من الواو». قلت: لئلا يلتبس في الجمع بين أمثالها.

(١) «طينة الخبال» بدل من «عصارة أهل النار». قال في هامش (أ): الخبال هو في الأصل .: الفساد يكون في الأفعال والأبدان والعقول (مجمع البحار) قلت: وانظر (لسان العرب [خبل]).

(٢) الترمذي: صفة القيامة، باب .. (٣/ ٣١٥) وقال: هذا حديث حسن. قال المزي: أخرجه الترمذي في الزهد (١١٢: ٢) عن سويد بن نصر، عن المبارك، عن محمد بن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده وقال: حسن (تحفة الأشراف) (٦/ ٣٣٧) رقم (٨٨٠٠) قلت: هو في صفة القيامة، وليس في الزهد. ثم قوله «حسن» «لهذا الحديث» نقله العراقي «غريب» (المغني عن حمل الأسفار) (٣/ ٣٣٨) والبخاري في الأدب المفرد، باب في الكبر ص (١٩٣) رقم (٥٥٧) عن محمد بن سلام عن المبارك. والنسائي في الرقائق في الكبرى عن سويد بن نصر به (تحفة الأشراف) (٦/ ٣٣٧) رقم (٨٨٠٠) والحميدي في مسنده (٢/ ٢٧٢- ٢٧٣) رقم (٥٩٨) والمنذري في الترغيب والترهيب. وأخرج عبدالله بن أحمد عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «يجاء بالجبارين والمتكبرين رجال في صور الذر، يطأهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضي بين الناس، ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار»: قيل: يا رسول الله! وما نار الأنيار؟ قال: «عصارة أهل النار» (البدور السافرة، وعنه في تحفة الأحوذي) (٣/ ٣١٥).

ذكره الغزالي بدون إسناد ولم يعزه، بلفظ: قال ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة مثل صور الذر تطأهم الناس، ذرا في مثل صور الرجال، يعلوهم كل شيء من الصغار، ثم يساقون إلى سجن جهنم يقال له! «بولس» يعلوهم نار الأنيار، يسقون من طين الخبال: عصارة أهل النار» (إحياء علوم الدين) (٣/ ٣٣٨).



وفي رواية لغيره من وجه آخر في هذا الحديث: «**يَطَأُهُمْ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ**».

وفي رواية أخرى من وجه أخر: «**يَطَؤُهُمْ الجِنُّ والإِنْسُ والدوابُّ بِأَرْجُلِهَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْـنَ عِبَادِهِ**».

واستأذن رجل عمر رضي الله عنه في القصص[1] على الناس، فقال: «**إني أخاف أن تقصَّ عليهم فترتفع[2] عليهم في نفسك حتى يضعك الله تحت أرجلهم يومَ القيامةِ**»[3].

ومنها: نظر العبد إلى ثواب المتواضعين للَّه في الدنيا، بالرفعة في الآخرة، فإنه «**مَنْ تَوَاضَعَ للَّهِ رَفَعَهُ**»[4].

[١٢/أ] ومنها: وليس هو في قدرة العبد، ولكنه من فضل اللَّه و/ رحمته ـ ما يعوض اللَّه عباده العارفين فيه، الزاهدين فيما يفنى من المال

---

(١) القصص: الموعظة، ومن هنا قالوا للواعظ: القاص.

(٢) الصواب كما أثبتنا وفي (أ ـ ب): «فتترقع».

(٣) أورده ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ٩٠ ـ ٩١) وقال: إسناده جيد، والرجل هو: الحارث بن معاوية الكندي.

(٤) روى مسلم عن أبي هريرة رقم (٢٥٨٨) في البر والصلة، والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في التواضع (٣/ ١٥٥) وقال: حديث حسن صحيح. وابن عبدالبر في جامع بيان العلم، فصل في مدح التواضع.. إلخ (١/ ١٤١) وانظر كذلك (الترغيب والترهيب) ص (٥٨٦) وأورده الماوردي من قول بعض السلف (أدب الدنيا والدين باب آداب العلم) ص (٥٦) والعقد الفريد (٢/ ٣٥٨).



والشرف مما يجعله اللَّه لهم في الدنيا من شرف التقوى، وهيبة الخلق لهم في الظاهر، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة في الباطن، وهي الحياة الطيبة التي وعدها اللَّه لمن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أُنْثَى وهو مؤمن(١)، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في الدنيا ولا أهل الرياسات.

والحرص على الشرف كما قال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «**لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف**».

ومن رزقه اللَّه ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل، والرياسة الفانية، قال اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وفي بعض الآثار: يقول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: «**أَنَا العَزِيْزُ، فَمَنْ أَرَادَ العِزَّةَ فَلْيُطِعِ العَزِيزَ، وَمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدُّنْيَا(٣) وَالآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالتَّقْوَى**».

[و] كان حجاج بن أرطاط رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: قتلني حب الشرف. فقال له سَوَّار: لو اتقيت اللَّه شرفت.

---

(١) وذلك قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

(٢) كذا بالحروف في النسختين على خلاف العادة.

(٣) (أ): «وفمن أراد مر الدنيا».



وفي هذا المعنى شعر:

[من الطويل]:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ العِزُّ والكَرَمُ وَحُبُّكَ للدُّنْيا هُوَ الذُّلُّ والسَّقَمُ

وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أو حَجَمَ

/ وقال صالح الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: الطاعة إمرة، والمطيع للَّه أميرٌ مؤمَّر على الأُمَراءِ، أَلَا ترى هيبته في صدورهم، إِنْ قَالَ قَبِلُوا، وَإِنْ أَمَرَ أطاعوا. ثم يقول: يحق لمن أحسن خدمتك، ومننت عليه بمحبتك أن تُذَلِّلَ له الجبابرة حتى يهابوه لهيبته في صدورهم من هيبتك في قلبه، وكل الخير من عندك بأوليائك. [ب/١٨٢]

وقال بعض السلف الصالح: من أسعد بالطاعة من مطيع؟ ألا وكل الخير في الطاعة، ألا وإن المطيع للَّه ملك في الدنيا والآخرة.

وقال ذو النون رَحِمَهُ اللَّهُ: من أكرم وأعزَّ ممن انقطع إلى من ملك الأشياء بيده؟.

دخل محمد بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ أمير البصرة على حَمَّاد بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ وقعد بين يديه يسأله، فقال له: يا أبا سلمة(١): ما لي كلما نظرت إليك ارتعدت فرقًا منك؟ قال: لِأَنَّ العَالِمَ إذا أراد بعلمه وجه اللَّه خافه كل شيء، وإن أراد أن يكثر به الكنوز خاف من كل شيء.

(١) في (أ) عليه علامة الترحم ولا يحتاج المقام فحذفته.



ومن هذا قول بعضهم: على قدر هيبتك للَّه يخافك الخلق، وعلى قدر محبتك للَّه يحبك الخلق، وعلى قدر اشتغالك باللَّه تشتغل الخلق بإشغالك.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا يمشي ووراءه قَوْمٌ من كبار المهاجرين، فالتفت فرآهم، فخرُّوا على ركبهم هيبةً له، فبكى عمر رضي الله عنه وقال: اللَّهم إنك تعلم أني أخوف لك منهم، فاغفر لي.

وكان العمري رحمه الله قد خرج إلى الكوفة إلى الرشيد ليعظه وينهاه، فوقع الرُّعْبُ في عسكر الرشيد لما سمعوا بنزوله حتى لو نزل بهم عدو مائة ألف نفس لما زادوا على ذلك.

وكان الحسن رحمه الله لا يستطيع أحد أن يسأله هيبةً له، وكان خواص أصحابه يجتمعون ويطلب بعضهم من بعض أن يسألوه عن المسألة، فإذا حضروا مجلسه لم يجبروا على سؤاله حتى ربما مكثوا على ذلك سنةً كاملةً هيبةً له.

وكذلك كان مالك بن أنس رحمه الله يُهاب أن يُسأل، حتى قال فيه القائل:

[من الكامل]:

يَدَعُ الجَوابَ وَلَا يُرَاجَعُ هَيْبَةً ... وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الأَذْقَانِ

نُورُ الوَقَارِ وعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى ... فَهُوَ المَهِيبُ وَلَيْسَ ذَا السُّلْطَانِ[1]

(١) البيتان في العقد الفريد (٢/ ٢٢١) وعيون الأخبار (٢/ ٣٦) وهما لعبداللَّه=



وكان يزيد العقيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من أراد بعلمه وجه اللَّه ـ تَعَالَى ـ أقبل اللَّه عليه بوجهه، وأقبل بقلوب العباد عليه. ومن عمل لغير اللَّه، صَرَفَ اللَّه وجهه، وصرف قلوب العباد عنه.

وقال محمد بن واسع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أقبل العبد بقلبه على اللَّه، أقبل اللَّه عليه بقلوب المؤمنين.

[أ/١٣] وقال أبو يزيد البسطامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): طَلَّقْتُ الدُّنْيا/ ثلاثًا بتًا، لا رجعة لي فيها، وصرت إلى ربي وحدي، وناديته بالاستعانة: «**إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك**». فلما عرف صدق الدعاء من قلبي، واليأس من نفسي كان أولّ ما ورد على من إجابة الدعاء أن أنساني نفسي بالكليَّة، ونَصَّبَ الخلائق بين يديّ مع إعراضي عنهم.

وكان يُزار من البلدان، فلما رأى ازدحام الناس عليه، قال:

[من المجتث]:

وَلَيتَنِي صِرْتُ شَيْئًا   مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أُعَدَّا
أَصْبَحْتُ لِلكُلِّ مَوْلَى   لأَنَّنِي لَكَ عَبْدَا
[ب/١٨٣] **/ وَفِي الفُؤَادِ أُمُورٌ   مَا تُستَطَاعُ تُعَدَّا**

=المبارك، أو خليفة بن الخياط كما في نسخة للعقد. وروايتهما في العقد والعيون:

يأبى الجواب فما يراجع   فالسائلون.. الأذقان
هدى الوقار .... السلطان

وفي العيون: «هدى التقى» فهو المطاع.

(١) كذا وقع بالحروف في النسختين.



لَكِنَّ كِتْمَانَ حَالِي   أَحَقُّ مَا بِي وَأَسْدَى

كتب وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مكحول[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما بعد: فإنك أصبحت بظاهر علمك عند الناس شرفًا ومنزلةً، فاطلب بباطن علمك عند اللَّه منزلة وزُلفى، واعلم أنَّ إحدى المنزلتين تمنع من الأخرى».

ومعنى هذا أن العلم الظاهر من تعلم الشرائع، والأحكام، والفتاوى، والقصص والوعظ، ونحو ذلك مما يظهر للناس يحصل به لصاحبه عندهم منزلةٌ وشرفًا. والعلم الباطن المودع في القلوب من معرفة اللَّه، وخشيته، ومحبته؛ ومراقبته، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والتوكل عليه، والرضى بقضائه، والإعراض عن عرض الدنيا الفاني، والإقبال على جوهر الآخرة الباقي، كل هذا يوجب لصاحبه عند اللَّه منزلة وزلفى، وإحدى المنزلتين تمنع من الأخرى. فمن وقف مع منزلته عند الخلق، واشتغل بما حصل له عندهم بالعلم الظاهر من شرف الدنيا كان همه حفظ هذه المنزلة عند الخلق، وملازمتها

(١) في هامش (أ): هو أبو عبداللَّه بن عبداللَّه الشامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سبي كابل، كان سنديًا لا يفصح، وكان معلم الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. لم يكن بالشام مثله، ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا، وكان لا يفتي حتى يقول: «لا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، هذا رأي، والرأي يخطئ ويصيب» وكان في لسانه عجمة يبدل بعض الحروف بغيره، كالحاء بالهاء وهذه العجمة تغلب على أهل السند. توفي سنة ١١٨هـ. وكابل: ناحية معروفة ببلاد السند (وهي عاصمة أفغانستان اليوم).



وتربيتها، والخوف من زوالها، كان ذلك حظه من اللَّه ـ تَعَالَى ـ، وانقطع به عنه، فهو كما قال بعضهم: «ويل لمن كان حظه من الدنيا».

وكان السَّري السُّقطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعجبه ما يرى من علم الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحسن خطابه، وسرعة جوابه؛ فقال له يومًا وقد سأله عن مسألةٍ فأجابَ وأصابَ: «أخشى أن يكون حظك من الدنيا لسانك» وكان الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يزال يبكي من هذه الكلمة.

ومن اشتغل بتربيته منزلته عند اللَّه ـ تَعَالَى ـ بما ذكرنا من العلم الباطن، وصل إلى اللَّه فاشتغل به عما سواه، وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق ومع هذا فإن اللَّه يعطيه المنزلة في قلوب الخلق، والشرف عندهم، وإن كان لا يريد ذلك، ولا يقف معه، بل يهرب منه أشدّ الهرب، ويفر أشدّ الفرار خشية أن يقطعه الخلق عن الحق ـ جل جلاله ـ، قال اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦] أي في قلوب عباده.

وفي حديث: «**إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى: يَا جِبْرِيلُ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] **ثُمَّ يُحِبُّه أهلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القبولُ فِي الأَرْضِ**».

(١) لم يرد في (ب)، ورمز له في (أ) بـ«عم».



والحديث معروف، وهو مخرَّج في الصحيح(١).

وبكل حالٍ، فطلب شرف الآخرة يحصل معه شرف في الدنيا وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه. وطلب شرف الدنيا لا يجامع شرف الآخرة ولا يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقي على الفاني، كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى».

خَرَّجه الإمام أحمد وغيره(٢).

---

(١) رواه البخاري عن طريق مخلد وأبي عاصم عن ابن جريج عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن أبي هريرة مرفوعا. ورواه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب اللَّه عبدًا حببه إلى عباده عن طريق جرير، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعا. وأخرجه مالك في الموطأ في الجامع، باب ما جاء في المتحابين في اللَّه (٣/ ١٢٨- ١٢٩) بنحو لفظ البخاري. ورواه النسائي في الكبرى في الملائكة بأسانيده عن مالك (تحفة الأشراف) (٩/ ٤١٧) رقم (١٢٧٤٣) وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠٩ ـ ٥١٤) بمثل حديث مسلم المذكور. وأخرجه الترمذي في التفسير، باب سورة مريم (٤/ ١٤٦) عنه مرفوعًا. وقال هذا حديث حسن صحيح. وابن أبي حاتم في تفسيره (تفسير ابن كثير) (٣/ ١٤٠).

(٢) مسند أحمد (٤/ ٤١٢) ورجاله ثقات انظر الترغيب والترهيب، ص (٥٧٩)، ورواه الحاكم والبزار والطبراني [وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وتعقبه الذهبي فقال: فيه انقطاع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجالهم ثقات].



وما أحسن ما قال أبو الفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[من الكامل]

أَمْرَانِ مُفْتَرِقَانِ لَستَ تَرَاهُمَا يَتَشَوَّفَانِ[1] لِخُلْطَةٍ وَتَلَاقِ
طَلَبُ المَعَادِ مَعَ الرِّيَاسَةِ وَالعُلَي فَدَعِ الَّذِي يَفْنَي لِمَا هُو بَاقِ[2]

تَمَّ الكلامُ على شرحِ الحديثِ، والحمدُ للَّه على كُلِّ حالٍ، وصَلَّى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين[3].



(١) في (أ) فوقه: يميلان.

(٢) ديوان أبي الفتح البستي.

(٣) ووقع في خاتمة (ب): «إلى هنا تم كلام الحافظ زين الدين ابن رجب على حديث: «ما ذئبان جائعان أرسلا..» إلخ. والحمد للَّه، وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه والعاملين بشرعه إلى يوم الدين.



محتويات الرسالة







